# من الطين إلى المجد 4

## الحضارة الآشورية

أماني سليمان

# من الطين إلى المجد ( ٤ )

## حضارات بلاد الرافدين

## الحضارة الآشورية

إعداد وصياغة

أماني سليمان

**هنا لم تكن السيوف تصنع للحروب فحسب**

**بل كانت ترسم حدود الإمبراطوريات**

**في آشور لم يكن هدير الجيوش مجرد صوت معركة**

**بل إعلاناً لولادة عصر جديد من القوة**

**أسوار آشور حفظت صدى انتصارات موكها**

# الفصل الأول

## مدينة آشور مهد الإمبراطورية

كانت مدينة آشور النواة الأولى التي انطلقت منها الحضارة الآشورية، وقد أُقيمت على الضفة الغربية لنهر دجلة، في موقع منحها مزايا طبيعية وتجارية مهمة. فمن خلال النهر، ارتبطت بالمدن الأخرى في بلاد الرافدين، كما كانت تقع على طرق التجارة التي تصل بين الجنوب والشمال، وبين بلاد الرافدين والأناضول وإيران.

في بداياتها، لم تكن آشور مدينةً كبيرة أو إمبراطورية قوية، بل كانت مدينة مزدهرة بالتجارة، يعيش سكانها على الزراعة وتربية الماشية وتبادل السلع مع الشعوب المجاورة. وقد ساعدها موقعها على أن تصبح محطة مهمة للقوافل التجارية، الأمر الذي وفر لها الثروة والاستقرار.

ومع مرور الزمن، ازداد نفوذ حكام المدينة، وبدأوا بتوسيع سلطتهم على المناطق المجاورة. ولم يحدث هذا التحول دفعة واحدة، بل استغرق قرونًا من التنظيم والإدارة وبناء القوة العسكرية، حتى تحولت آشور من مدينة صغيرة إلى عاصمة لدولة أخذ نفوذها يتسع عامًا بعد عام.

ولم تكن مدينة آشور مركزًا سياسيًا فقط، بل كانت أيضًا مركزًا دينيًا، إذ ضمت معابد كبيرة، وفي مقدمتها معبد الإله آشور، الذي كان يحتل مكانة مقدسة في نفوس السكان والملوك على حد سواء.

وقد بقيت المدينة تحتفظ بمكانتها حتى بعد انتقال العاصمة إلى مدن أخرى مثل كالح (نمرود) ودور شروكين ونينوى، إذ ظلت تُعد القلب الروحي للدولة الآشورية.

**حقيقة تاريخية**

**رغم انتقال العاصمة السياسية أكثر من مرة، لم يفقد الآشوريون احترامهم لمدينة آشور، فكان كثير من الملوك يعودون إليها للمشاركة في الاحتفالات الدينية وتقديم القرابين، تأكيدًا على مكانتها الرمزية في الدولة.**

# نشأة الدولة الآشورية ومراحلها

**لم تظهر الإمبراطورية الآشورية فجأة، بل مرت بمراحل طويلة من النمو والتطور. ففي البداية كانت آشور مدينةً صغيرة تعتمد على التجارة والزراعة، ثم تحولت تدريجيًا إلى مملكة، قبل أن تصبح واحدة من أعظم الإمبراطوريات في العالم القديم. ويقسم المؤرخون تاريخ الدولة الآشورية إلى ثلاث مراحل رئيسية، لكل منها سماتها الخاصة.**

## العصر الآشوري القديم نحو 1364–2025 ق.م

**في هذه المرحلة كانت آشور مدينةً تجارية مزدهرة أكثر منها دولةً عسكرية. فقد اشتهر الآشوريون بتأسيس مستعمرات تجارية في الأناضول، وكانت قوافلهم تنقل الأقمشة والمعادن والسلع بين مختلف المناطق.**

**وخلال هذه الفترة لم تكن آشور القوة الكبرى في بلاد الرافدين، بل خضعت أحيانًا لنفوذ ممالك أخرى، إلا أن حكامها حافظوا على مدينتهم، وعملوا على تنمية تجارتها وتقوية اقتصادها.**

## العصر الآشوري الوسيط نحو 912–1363 ق.م

**شهدت هذه المرحلة بداية التحول الحقيقي في تاريخ آشور، إذ بدأ الملوك بتوسيع حدود المملكة، وتنظيم الجيش، وفرض نفوذهم على المناطق المجاورة.**

كما تطورت الإدارة، وأصبحت الدولة أكثر استقرارًا، وازدادت قوة الملوك، مما مهد الطريق لقيام الإمبراطورية الآشورية في المرحلة التالية.

## العصر الآشوري الحديث 609–911 ق.م

يُعد هذا العصر ذروة القوة الآشورية، ففيه تحولت المملكة إلى إمبراطورية مترامية الأطراف، امتدت من الخليج العربي جنوبًا إلى البحر المتوسط غربًا، ومن جبال أرمينيا شمالًا إلى مصر في بعض الفترات.

وفي هذه المرحلة ظهر أشهر ملوك آشور، وبلغ الجيش الآشوري قمة قوته، وأصبحت المدن الآشورية مراكز للعلم والفن والإدارة، إلى جانب شهرتها العسكرية.

هل تعلم؟

استمرت الحضارة الآشورية أكثر من ألف عام، لكن عصر الإمبراطورية العظمى الذي اشتهرت به لم يستمر سوى نحو ثلاثة قرون، وهي الفترة التي تركت أعظم أثر في تاريخ الشرق الأدنى القديم.

### الأعياد والاحتفالات في آشور عندما توقفت الحروب واحتفل الناس

عندما نقرأ عن الإمبراطورية الآشورية، قد نتخيل شعبًا لا يعرف إلا الحروب والمعارك، لكن خلف الجيوش والقصور كانت هناك حياة يومية مليئة بالمناسبات والطقوس والاحتفالات.

فالحضارة لا تُبنى بالسلاح فقط، بل تحتاج إلى أفراح الناس، واحتفالاتهم، وعلاقتهم بالمجتمع والآلهة.

# الأعياد الدينية لقاء بين الإنسان والآلهة

كانت الأعياد الدينية من أهم المناسبات عند الآشوريين.

فقد كانوا يعتقدون أن إقامة الطقوس والاحتفالات تُظهر احترامهم للآلهة وتحافظ على توازن العالم. وكانت الاحتفالات تشمل تقديم القرابين.

إقامة الصلوات والطقوس في المعابد ومواكب دينية يشارك فيها الكهنة والملك تقديم الطعام والشراب في المناسبات المقدسة.

وكان الملك يظهر في هذه الاحتفالات باعتباره الحامي الأول لعلاقة الشعب مع الإله آشور.

## احتفالات الإله آشور

كان الإله آشور هو الإله القومي للإمبراطورية، وكانت مدينة آشور مركزًا دينيًا مهمًا له. وفي المناسبات الكبرى كانت تقام احتفالات مرتبطة بالمعبد، يحضرها المسؤولون والكهنة وربما أعداد كبيرة من الناس.

وكانت هذه المناسبات فرصة لتأكيد وحدة الإمبراطورية حول الإله والملك.

لم تكن كل الاحتفالات دينية فقط فعندما يعود الملك منتصرًا من حملة عسكرية، كانت تقام مراسم احتفال بالنصر. وكانت تشمل مواكب يدخل فيها الجيش المدينة وعرض الغنائم وتكريم القادة والجنود وإقامة الولائم. وكان الهدف إظهار قوة الدولة وترسيخ هيبة الملك أمام الشعب.

## الموسيقى والطعام والولائم

تكشف لنا الآثار أن الموسيقى كانت جزءًا من الحياة الآشورية.

فقد استخدموا آلات مثل: الطبول القيثارات آلات النفخ.

وكانت الولائم تُقام في القصور والمناسبات الكبرى، ويقدم فيها اللحوم الخبز الفواكه المشروبات. وكانت هذه المناسبات تجمع بين الترفيه والتواصل الاجتماعي.

أما عامة الناس، فكانت لديهم مناسباتهم الخاصة المرتبطة بالمواسم والزراعة والحياة الاجتماعية.

فبعد موسم الحصاد مثلًا، كانت المجتمعات القديمة في بلاد الرافدين تقيم مناسبات للتجمع والاحتفال بما أنتجته الأرض.

ورغم أن تفاصيل هذه الاحتفالات أقل وضوحًا من احتفالات القصر، فإن الألواح والآثار تشير إلى أن الحياة لم تكن كلها عملًا وحربًا.

## بين الحرب والفرح

ربما أكثر ما يجعلنا نفهم الآشوريين هو أن نراهم كأناس كاملين كان لديهم جنود يحاربون، وملوك يخططون، لكن كان لديهم أيضًا عائلات، وأعياد، وموسيقى، واحتفالات.

فخلف صورة الإمبراطورية القوية كان هناك مجتمع يعيش حياته ويحاول أن يصنع الفرح وسط عالم مليء بالصراعات.

## لغة آشور وكتاباتها صوت شعب بقي عبر آلاف السنين

لم تكن قوة الآشوريين في السيوف والجيوش فقط، بل كانت أيضًا في قدرتهم على تسجيل أفكارهم وأخبارهم وحياتهم اليومية على ألواح الطين.

فالحضارة التي لا تكتب قد تضيع أخبارها، أما الآشوريون فقد تركوا وراءهم آلاف الألواح التي جعلت أصواتهم تصل إلينا بعد آلاف السنين.

# ما اللغة التي تحدث بها الآشوريون؟

كانت اللغة الآشورية إحدى لهجات اللغة الأكدية، وهي لغة سامية انتشرت في بلاد الرافدين. وكانت الأكدية تُكتب باستخدام الخط المسماري، وهو نظام كتابة ورثه الآشوريون عن الحضارات الرافدية السابقة، ثم استخدموه في الإدارة والقصور والمعابد.

كان الكاتب في المجتمع الآشوري شخصًا مهمًا، لأن الكتابة لم تكن مهارة يعرفها الجميع. كان الكتبة يعملون في القصور الملكية المعابد دوائر الإدارة

وكانوا يسجلون أوامر الملوك والرسائل والمعاهدات والضرائب والنصوص الدينية العلوم والطب والفلك ولهذا كان الكاتب يحمل مكانة كبيرة، لأنه يحفظ ذاكرة الدولة.

لم تصبح الكتابة مهارة سهلة، فالطالب الذي يريد أن يصبح كاتبًا كان يتدرب على كتابة العلامات المسمارية وحفظ الكلمات والنصوص.

وكان يتعلم: أسماء العلامات وطرق تركيب الكلمات ونسخ النصوص القديمة. وكانت هذه المدارس تصنع الجيل الذي يدير شؤون الإمبراطورية.

من خلال الألواح الآشورية عرفنا تفاصيل مذهلة عن حياتهم كيف حكموا كيف حاربوا بماذا كانوا يؤمنون كيف عالجوا المرض كيف نظروا إلى السماء فالطين الذي نقشوا عليه كلماتهم لم يكن مجرد مادة للكتابة، بل كان وسيلتهم للخلود.

# حين تكلمت الألواح بعد آلاف السنين

ربما لم يتخيل الكاتب الآشوري الذي ضغط القلم على لوح الطين أن كلماته ستصل إلى أشخاص بعد آلاف السنين. لكن تلك العلامات الصغيرة أصبحت

**اليوم نافذة نطل منها على عالم آشور، فنسمع صوت شعب لم يختفِ تمامًا، لأنهم تركوا وراءهم ما يقولون.**

## كلمات آشورية من لغة الملوك والكتبة

**آشور (Aššur): اسم الإله القومي للآشوريين، ومنها جاء اسم الشعب والإمبراطورية.**

**نينوى (Ninua): اسم العاصمة الآشورية الشهيرة، ويُربط اسمها قديمًا بالإلهة عشتار في بعض التفسيرات.**

**شارّو (Šarru): الملك.**

**شَرّاتُ (Šarratu): الملكة.**

**بِيتُ (Bītu): البيت أو المنزل.**

**إيكالو (Ekallu): القصر الملكي.**

**ألو (Ālu): المدينة.**

**ماتو (Mātu): البلاد أو الأرض.**

**أمّو (Ummu): الأم.**

**أبو (Abu): الأب.**

**أخو (Aḫu): الأخ.**

**كِسّاتو (Kiššatu): العالم أو الكون، وتأتي أيضًا بمعنى "كل شيء".**

**إلو (Ilu): الإله.**

**شَمَش (Šamaš): إله الشمس والعدل.**

**سين (Sîn): إله القمر.**

**عشتار (Ištar): إلهة الحب والحرب.**

**تابو (Ṭābu): جيد أو جميل.**

**لاماسو (Lamassu): الكائن الحامي المجنح الذي يوضع عند مداخل القصور.**

## الآشورية والعربية قرابة لغوية تعود لآلاف السنين

**عندما نبحث في لغة الآشوريين القدماء، نجد أنها تنتمي إلى عائلة لغوية كبيرة تُعرف باسم اللغات السامية، وهي العائلة التي تنتمي إليها أيضًا اللغة العربية.**

**وهذا يعني أن العربية والأكدية (ومنها اللهجتان الآشورية والبابلية) ليستا اللغة نفسها، لكنهما تشتركان في أصل لغوي قديم، مثل أفراد العائلة الواحدة الذين يحملون صفات مشتركة رغم اختلافهم.**

**وتظهر هذه القرابة في بعض الكلمات والجذور التي بقيت متشابهة بين اللغات السامية، مثل كلمات تتعلق بالأسرة والحياة اليومية، وبعض المفاهيم الأساسية مثل الأب، والأم، والبيت، والملك.**

**وقد ساعدت دراسة هذه اللغات العلماء على فهم العلاقات بين شعوب الشرق الأدنى القديم، وأظهرت أن حضارات المنطقة لم تكن منفصلة تمامًا، بل كانت بينها صلات ثقافية ولغوية امتدت عبر آلاف السنين. فاللغة ليست مجرد وسيلة للكلام، بل هي ذاكرة الشعوب، ومن خلالها نستطيع أن نرى الروابط التي جمعت بين أمم عاشت في هذه المنطقة منذ أقدم العصور.**

**الآشوريون من مدينة صغيرة إلى إمبراطورية هزّت العالم القديم.**

**أصل التسمية**

**يرتبط اسم الآشوريين بمدينة آشور، التي كانت في البداية مدينة صغيرة تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة في شمال بلاد الرافدين. ويُعتقد أن المدينة حملت اسم الإله آشور، الذي أصبح فيما بعد الإله القومي للدولة الآشورية، ثم انتقل الاسم ليُطلق على سكان المدينة، ومن ثم على المملكة بأكملها. ومع اتساع نفوذ الآشوريين، لم يعد اسم آشور يقتصر على مدينة أو إله، بل أصبح رمزًا لشعبٍ ودولةٍ وإمبراطورية امتدت حدودها من جبال زاغروس شرقًا إلى سواحل البحر المتوسط غربًا في أوج قوتها.**

**وقد ورد اسم آشور في نصوص بلاد الرافدين بصيغ مختلفة بحسب اللغة والعصر، لكنه حافظ على جذره الأصلي، مما يدل على المكانة الكبيرة التي احتلتها المدينة في تاريخ المنطقة.**

**ويشير الباحثون إلى أن سكان آشور كانوا في بداياتهم جزءًا من شعوب شمال بلاد الرافدين، وتأثروا بالحضارات التي سبقتهم، ولا سيما السومريين والأكديين والبابليين، قبل أن يطوروا هويتهم الخاصة ويؤسسوا واحدة من أقوى الإمبراطوريات العسكرية في العالم القديم.**

## ملوك آشور أسماء صنعت التاريخ

**على امتداد أكثر من ألف عام، تعاقب على عرش آشور عشرات الملوك، بعضهم لم يدم حكمه سوى سنوات قليلة، بينما استطاع آخرون أن يغيروا مجرى التاريخ، ويحولوا مملكة صغيرة إلى واحدة من أعظم الإمبراطوريات في العالم القديم. ولم تكن أسماء الملوك الآشوريين مجرد أسماء، بل حمل كثير منها معاني دينية ورسائل تعكس معتقدات ذلك العصر. فقد اعتاد**

الآشوريون أن يضمنوا أسماء أبنائهم أسماء الآلهة، وخاصة اسم الإله آشور، طلبًا للحماية والبركة، أو تعبيرًا عن إيمانهم بأن الآلهة هي التي تمنح الملك سلطته وقوته.

فمثلًا، يحمل اسم آشور- ناصر- بال معنى "الإله آشور حامي الوريث"، بينما يُفسر اسم آشور- باني- بال بأنه "الإله آشور أنجب الوريث" أو "الإله آشور هو صانع الابن".

أما اسم أسرحدون فيُعتقد أنه يعني "الإله آشور أعطى أخًا"،

في حين يُفسر اسم سنحاريب غالبًا بمعنى "الإله سين عوّض الإخوة"، إذ يشير إلى الإله سين، إله القمر عند سكان بلاد الرافدين.

## ملوك العصر الآشوري القديم

تبدأ قوائم الملوك الآشوريين بأسماء يلفها شيء من الغموض، إذ لم تصلنا معلومات كافية عن حياة بعضهم، بينما عُرف آخرون من خلال النقوش والوثائق التجارية التي عُثر عليها في مدينة آشور والمستوطنات الآشورية في الأناضول. ولهذا السبب، فإن بعض أسماء الملوك الأوائل بقيت دون أحداث تُذكر، لكنها تظل جزءًا مهمًا من تاريخ الدولة، لأنها تمثل البدايات التي سبقت ظهور الإمبراطورية الآشورية.

يُعد توديا (Tudiya) أقدم ملك يرد اسمه في قوائم الملوك الآشوريين. ولا نعرف الكثير عن حياته أو مدة حكمه، كما لم يصلنا معنى مؤكد لاسمه، إلا أن المؤرخين يعدونه أول اسم افتتحت به السلالة الآشورية.

وأول ملك من الملوك السبعة عشر الذين عاشوا في الخيام، ويعرفون بـ«ملوك الخيام»، اللذين عاشوا في بداية العصر البرونزي. وفقاً لعالم الآشوريات الفرنسي جورج رو فأن الملك توديا كان قد عاش في النصف

الأخير من القرن ال٢٥ قبل الميلاد، أي ما بين ٢٤٥٠ قبل الميلاد إلى ٢٤٠٠ قبل الميلاد.

ثم جاء بعده أدامو (Adamu)، ويليه يانغي (Yangi)،

ثم سوحلامو (uhlamuS)، وبعدهم هارو (Harharu)،

ومندارو (Mandaru)، وإيمسو (Imsu)، وهارسو (Harsu)، وديدانو (Didanu)، وهانا (Hana)، وزوابو (Zuabu)،

ونوابو (Nuabu)، وأبياشال (Abiashal)، ثم أوشبيا (Ushpia) الذي تنسب إليه بعض الروايات القديمة بناء أول معبد مخصص للإله آشور، إلا أن هذا الأمر لا يزال محل نقاش بين الباحثين.

وبعده جاء أبياشور (Apiashal)، ثم هاليه (Hale)،

وسماني (Samani)، وحيارو (ayanuH)، وإيلامر (Ilamer)،

حتى بدأت آشور تدخل مرحلة أوضح تاريخيًا، حيث أصبحت المصادر أكثر وفرة، وبدأت أسماء الملوك ترتبط بإنجازات سياسية وتجارية يمكن تتبعها.

ورغم أن معظم هؤلاء الملوك لم يتركوا نقوشًا تروي أخبارهم، فإن مجرد ورود أسمائهم في قوائم الملوك يدل على أن آشور كانت تملك نظامًا سياسيًا منظمًا منذ وقت مبكر، وأن الحكم انتقل عبر أجيال متعاقبة، وهو ما مهّد لظهور الدولة الآشورية التي ستصبح لاحقًا إحدى أعظم إمبراطوريات العالم القديم.

## إيلو- شوما بداية النفوذ الآشوري

بعد سلسلة من الملوك الذين لم يصلنا عنهم سوى أسمائهم، بدأ تاريخ آشور يصبح أكثر وضوحًا مع الملك إيلو- شوما، الذي يُعد من أوائل الملوك

**الذين تركوا نقوشًا تروي بعض أعمالهم، ولذلك يُعد بداية المرحلة التاريخية الموثقة للدولة الآشورية.**

**ويُفسَّر اسم إيلو- شوما غالبًا بمعنى "الإله قد سمع" أو "الإله أصغى"، وهو اسم يعكس الطابع الديني الذي اتسمت به الأسماء الآشورية، إذ كان الناس يعتقدون أن الآلهة تستجيب للدعاء وتحمي أصحاب الأسماء التي تحمل إشارات إليها.**

**حكم إيلو- شوما في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، وعمل على تعزيز مكانة مدينة آشور بوصفها مركزًا تجاريًا مهمًا. وتشير نقوشه إلى أنه شجع التجارة، وقدم امتيازات للتجار، وسعى إلى تأمين الطرق التجارية التي كانت تربط آشور بالمدن المجاورة. كما يُنسب إليه تنفيذ أعمال عمرانية داخل مدينة آشور، ولا سيما في المعابد، وهو ما يدل على اهتمامه بالحياة الدينية إلى جانب الإدارة والاقتصاد.**

**ورغم أن مملكته لم تكن واسعة، فإن جهوده في تنظيم شؤون الدولة وتنشيط التجارة أسهمت في ترسيخ مكانة آشور، ومهدت الطريق للملوك الذين جاءوا بعده.**

**وبعد وفاة إيلو- شوما، تولى الحكم ابنه إيريشوم الأول، الذي واصل سياسة والده، وترك بدوره آثارًا ونقوشًا تعد من أهم المصادر التي عرّفتنا بتاريخ آشور في تلك المرحلة.**

**هل تعلم؟**

**تُعد نقوش إيلو- شوما من أقدم النصوص الآشورية التي تتحدث عن أعمال أحد الملوك بنفسه، ولذلك يعتمد عليها المؤرخون في دراسة بدايات الدولة**

الآشورية، وإن كانت المعلومات التي تقدمها لا تزال محدودة مقارنة بما وصلنا من العصور اللاحقة

## إيريشوم الأول الملك الذي ازدهرت في عهده التجارة

خلف إيريشوم الأول والده إيلو- شوما على عرش آشور، ويُعد من أوائل الملوك الذين وصلت إلينا عنهم معلومات موثقة. ويُفسَّر اسمه في أحد الآراء بأنه يعني "الإله منح أخًا" أو "الإله أقام الأخ"، إلا أن هذا التفسير ليس محل اتفاق كامل بين الباحثين.

شهدت آشور في عهده فترة من الاستقرار، الأمر الذي ساعد على ازدهار النشاط التجاري. فقد كانت القوافل الآشورية تجوب الطرق المؤدية إلى الأناضول، حاملة الأقمشة والمعادن وغيرها من البضائع، بينما كانت تعود محملة بالفضة والمواد الخام التي احتاجتها المدينة. وتشير النقوش التي تعود إلى عصره إلى أنه اهتم بتنظيم شؤون التجارة، كما أصدر قرارات هدفت إلى حماية حقوق التجار وتسهيل أعمالهم، وهو ما أسهم في زيادة ثروة آشور وتعزيز مكانتها الاقتصادية.

أقام التجار الآشوريون شبكة تجارية واسعة وصلت إلى الأناضول، وأنشؤوا مراكز تجارية عُرفت باسم "الكاروم".

واهتم إيريشوم الأول أيضًا بالمباني الدينية، فواصل ترميم المعابد والاعتناء بها، إيمانًا بأهميتها في حياة المجتمع الآشوري. ورغم أن حدود المملكة بقيت محدودة في عهده، فإن الاستقرار الاقتصادي الذي تحقق أصبح أساسًا اعتمد عليه الملوك الذين جاؤوا بعده في بناء قوة الدولة.

بعد وفاة إيريشوم الأول، تعاقب على العرش عدد من الملوك، منهم إيكونوم، ثم سرجون الأول الآشوري، ثم بوزور- آشور الثاني، ونرام-

سين الآشوري، وإيريشوم الثاني. وقد حافظ هؤلاء الملوك على استقرار المملكة، وواصلوا دعم التجارة والإدارة، لكنهم لم يتركوا تحولًا كبيرًا في تاريخ آشور كالذي سيحدث لاحقًا.

ومع وصول الحكم إلى شمشي - أدد الأول، دخلت آشور مرحلة جديدة تمامًا؛ إذ تحولت من مملكة إقليمية إلى قوة سياسية وعسكرية بارزة، وبدأ اسمها يُعرف في أنحاء واسعة من الشرق الأدنى القديم

## شمشي- أدد الأول الرجل الذي غيّر وجه آشور

يُعد شمشي- أدد الأول من أبرز ملوك العصر الآشوري القديم، فهو أول من نقل آشور من مملكة محدودة النفوذ إلى دولة ذات تأثير واسع في بلاد الرافدين. ولذلك يراه كثير من المؤرخين أول ملك وضع الأسس الحقيقية للقوة الآشورية. ويُفسر اسمه بمعنى "الإله أدد هو شمسي" أو "أدد هو شمسي"، وأدد هو إله العواصف والأمطار عند شعوب بلاد الرافدين، وكان من الآلهة التي حظيت بمكانة كبيرة في المنطقة.

هل كان آشوريًا؟

من المثير للاهتمام أن شمشي- أدد الأول لم يكن من أسرة آشورية قديمة، بل تشير الأدلة إلى أنه كان من الأموريين، وهم شعب سامي استقر في مناطق واسعة من بلاد الرافدين وبلاد الشام. ومع ذلك، تمكن من اعتلاء عرش آشور، ثم أصبح واحدًا من أعظم ملوكها، حتى إن الآشوريين اعتبروه لاحقًا جزءًا من تاريخهم المجيد.

لم يرث شمشي- أدد الحكم بسهولة، بل خاض صراعات سياسية وعسكرية حتى تمكن من السيطرة على مدينة آشور. وبعد أن استقر له الحكم، بدأ

بتنفيذ خطة طموحة لتوسيع دولته، فضم مدنًا عديدة في شمال بلاد الرافدين، وفرض نفوذه على طرق التجارة المهمة.

ولم يكن هدفه السيطرة العسكرية فقط، بل كان يدرك أن ازدهار التجارة يعني ازدهار الدولة، لذلك عمل على تأمين الطرق التجارية، وربط المدن التي خضعت له بإدارة منظمة.

ومن أبرز ما ميّز شمشي- أدد أنه لم يحكم جميع المناطق بنفسه، بل اعتمد على نظام إداري متطور. فقد عهد بإدارة بعض المدن إلى ابنيه، لكنه كان يتابع أعمالهما باستمرار، ويرسل إليهما التعليمات والنصائح عبر الرسائل.

وقد عثر علماء الآثار على عدد من هذه الرسائل، وهي تُعد من أقدم الرسائل السياسية التي وصلت إلينا، وتكشف عن شخصية ملك يهتم بأدق تفاصيل الحكم، ويطالب أبناءه بالحزم، وحسن الإدارة، واحترام القوانين.

هل تعلم؟

تكشف رسائل شمشي- أدد إلى ابنيه أنه لم يكن قائدًا عسكريًا فقط، بل كان أبًا يوجه وينصح ويعاتب أحيانًا. ولهذا تعد تلك الرسائل من أقدم الوثائق التي تُظهر الجانب الإنساني لأحد ملوك العالم القديم، وليس صورته كحاكم ومحارب فقط.

وتكشف هذه الرسائل عن شخصية ملك شديد الانضباط، لا يرضى بالإهمال، وكان يطالب أبناءه بأن يكونوا قدوة في العدل، وأن يتابعوا شؤون الناس بأنفسهم، وألا يتركوا المسؤوليات لكبار الموظفين وحدهم.

وفي إحدى الرسائل، يعاتب أحد ابنيه لأنه لم يُظهر الحزم الذي يليق بالحاكم، ويحثه على اتخاذ قرارات أكثر قوة، في إشارة إلى أن الملك كان يرى أن التردد قد يهدد استقرار الدولة.

**كما أوصاهما بالاهتمام بتحصين المدن، ومراقبة تحركات الأعداء، والحفاظ على ولاء القادة والجنود، لأن أي إهمال قد يؤدي إلى تمرد أو خسارة مدينة مهمة.**

**ولم تقتصر الرسائل على الأمور العسكرية، بل تناولت أيضًا إدارة القصور، وتنظيم شؤون الموظفين، واستقبال الوفود، والعناية بالمراسلات الرسمية، وهو ما يعكس وجود جهاز إداري منظم سبق كثيرًا من الحضارات الأخرى.**

**وتُعد هذه الرسائل من أقدم الوثائق السياسية والإدارية التي وصلتنا من الشرق الأدنى القديم، وقد ساعدت الباحثين على فهم طريقة التفكير السياسي للملوك الآشوريين في تلك الفترة، وكيف كانوا يديرون دولتهم يومًا بيوم.**

**لا تزال بعض رسائل شمشي- أدد محفوظة على ألواح طينية، وهي تكشف عن أسلوب مباشر وحازم في مخاطبة أبنائه. ورغم أن كثيرًا من النصوص وصلنا ناقصًا أو متضررًا، فإنها تعكس بوضوح اهتمامه بالانضباط، وتحمل المسؤولية، وعدم التهاون في إدارة شؤون الدولة.**

**بعد وفاة شمشي- أدد الأول، بدأت الدولة التي بناها تضعف تدريجيًا. فقد واجه أبناؤه صعوبة في الحفاظ على وحدة المملكة، واستغل الملوك المجاورون هذا الضعف لاستعادة المدن التي كانت قد خضعت للنفوذ الآشوري. وهكذا فقدت آشور كثيرًا من الأراضي التي كسبتها في عهده، لكنها لم تفقد طموحها، إذ ستعود بعد قرون لتنهض من جديد وتبني إمبراطورية أعظم مما كانت عليه.**

# آشور- أوباليط الأول الملك الذي أعاد نهضة آشور

بعد سنوات من التراجع والانقسام، ظهر ملك استطاع أن يعيد إلى آشور هيبتها، ويضعها مرة أخرى بين القوى الكبرى في الشرق الأدنى، وهو آشور- أوباليط الأول، الذي يعده كثير من المؤرخين المؤسس الحقيقي لقوة آشور في العصر الآشوري الوسيط.

ويعني اسمه "الإله آشور أبقى حيًا" أو "الإله آشور حفظ الحياة"، وهو اسم يعكس اعتقاد الآشوريين بأن الإله آشور هو حامي الملك والدولة.

تولى آشور- أوباليط الأول الحكم في وقت كانت فيه مملكة ميتاني تسيطر على أجزاء واسعة من شمال بلاد الرافدين، وكانت آشور لسنوات طويلة واقعة تحت نفوذها. لكن الملك الجديد رفض هذا الواقع، وبدأ بإعادة تنظيم الجيش وتقوية الدولة، حتى تمكن من التخلص من النفوذ الميتاني وإعلان استقلال آشور الكامل.

وكان هذا الانتصار نقطة تحول في تاريخ المملكة، إذ لم تعد آشور دولة صغيرة تدافع عن نفسها، بل أصبحت قوة تسعى إلى توسيع نفوذها وفرض وجودها بين الممالك الكبرى.

من أكثر الأمور إثارة في عهد آشور- أوباليط الأول أنه لم يكتفِ بالحروب، بل دخل أيضًا عالم السياسة والدبلوماسية. فقد عُثر على رسائل متبادلة بينه وبين فرعون مصر، ضمن ما يعرف اليوم بـ رسائل تل العمارنة.

وتُظهر هذه الرسائل أن ملك آشور لم يعد يخاطب فرعون بصفته تابعًا أو حاكمًا صغيرًا، بل بصفته ندًا لند، وهو أمر يعكس المكانة الجديدة التي وصلت إليها آشور في ذلك العصر. كما أرسل الهدايا إلى البلاط المصري، وسعى إلى إقامة علاقات سياسية وتجارية مع القوى الكبرى، في خطوة

**تؤكد أن الدولة الآشورية بدأت تدخل مرحلة جديدة من القوة والاعتراف الدولي.**

**إلى جانب نجاحاته العسكرية والدبلوماسية، اهتم آشور- أوباليط الأول بإدارة الدولة، وعمل على تقوية مؤسساتها، وتنظيم شؤونها الداخلية، مما وفر الاستقرار الذي احتاجه الملوك اللاحقون لمواصلة التوسع.**

**ولهذا السبب، يرى كثير من الباحثين أن نهضة الإمبراطورية الآشورية لم تبدأ بالسيف وحده، بل بدأت أيضًا بالإدارة الحكيمة والقدرة على بناء دولة قوية من الداخل.**

## أدد- نيراري الأول توسيع حدود الدولة

**خلف أدد- نيراري الأول الملك آشور- أوباليط الأول، وواصل السياسة التي بدأها سلفه، لكن بطموح أكبر. ويُفسر اسمه بمعنى "الإله أدد عوني" أو "الإله أدد هو سندي"، وهو اسم يعكس مكانة الإله أدد، إله المطر والعواصف، في معتقدات بلاد الرافدين.**

**كان أدد- نيراري قائدًا عسكريًا بارعًا، فقاد حملات ناجحة ضد مملكة ميتاني التي كانت قد ضعفت، واستطاع إخضاع أجزاء واسعة منها، مما وسّع حدود آشور وأمّن طرقها التجارية.**

**ولم يكتفِ بالفتوحات، بل اهتم بتنظيم الأراضي التي ضمها، فعين حكامًا عليها، وعمل على دمجها في الدولة الآشورية، وهو ما ساعد على ترسيخ سلطة المملكة في المناطق الجديدة.**

**كما اهتم بإعادة بناء بعض المعابد والمنشآت، مؤكدًا أن قوة الدولة لا تقوم على الجيش وحده، بل تحتاج أيضًا إلى إدارة مستقرة وحياة دينية مزدهرة.**

# شلمنصر الأول باني المدن وقائد الجيوش

**خلف شلمنصر الأول والده أدد- نيراري الأول، ويُفسر اسمه بأنه "الإله شلمن منح الملك"، وإن كان الباحثون يختلفون في التفسير الدقيق لبعض أجزاء الاسم.**

**شهد عهده توسعًا جديدًا للإمبراطورية، فقاد حملات عسكرية ناجحة ضد الشعوب المجاورة، وعزز النفوذ الآشوري في شمال بلاد الرافدين. ومن أبرز إنجازاته تأسيس مدينة كالح (التي عُرفت لاحقًا باسم نمرود)، والتي أصبحت في عصور لاحقة إحدى أهم المدن الآشورية، بل واتخذها بعض الملوك عاصمة لهم.**

**كما أولى اهتمامًا بتحصين المدن، وبناء المنشآت العامة، وتقوية الجيش، الذي أصبح أكثر تنظيمًا وانضباطًا.**

# توكولتي- نينورتا الأول الملك الذي هزم بابل

**يُعد توكولتي- نينورتا الأول من أشهر ملوك العصر الآشوري الوسيط، ويعني اسمه "ثقتي بالإله نينورتا" أو "المتوكل على الإله نينورتا"، وهو اسم يعبر عن الإيمان بالإله نينورتا، إله الحرب والصيد والزراعة في معتقدات بلاد الرافدين.**

**حقق هذا الملك إنجازًا هزّ المنطقة بأكملها، عندما تمكن من هزيمة بابل والسيطرة عليها، في حدث كان له أثر كبير في تاريخ بلاد الرافدين، إذ كانت بابل تُعد واحدة من أعرق مدن المنطقة وأكثرها مكانة. لكن هذا الانتصار جلب له أيضًا كثيرًا من المشكلات، فقد أثارت سياساته استياء عدد من النبلاء، كما واجه معارضة داخلية متزايدة.**

**وفي نهاية حياته، قُتل في انقلاب قاده أحد أبنائه، لتنتهي بذلك حياة أحد أعظم ملوك آشور بطريقة مأساوية، في تذكير بأن القوة العسكرية لا تكفي دائمًا لضمان استقرار الحكم.**

**هل تعلم؟**

**يُنسب إلى توكولتي- نينورتا الأول تأليف واحدة من أقدم الملاحم الملكية المعروفة، وهي "ملحمة توكولتي- نينورتا"، التي تصف انتصاره على بابل وأسر ملكها كاشتيلياش الرابع بأسلوب أدبي يمزج بين التاريخ والدعاية السياسية، مما يجعلها مصدرًا مهمًا لفهم الفكر الملكي الآشوري.**

## تغلث فلاسر الأول الملك الذي أعاد هيبة الإمبراطورية

**يُعد تغلث فلاسر الأول من أشهر ملوك آشور وأكثرهم طموحًا. ويُكتب اسمه في المصادر الآشورية توكولتي- أبيل- إشارا، أما اسم تغلث فلاسر فهو الصيغة التي اشتهر بها في المصادر اليونانية والحديثة. ويُفسَّر اسمه بمعنى "ثقتي بابن معبد إشارا"، وإن كانت هناك اختلافات بين الباحثين في الترجمة الدقيقة لبعض أجزاء الاسم.**

**تولى الحكم في وقت كانت فيه آشور تواجه تحديات من القبائل المجاورة، إلا أنه استطاع خلال سنوات قليلة أن يعيد إليها قوتها العسكرية، ويبدأ سلسلة من الحملات التي وسعت حدود المملكة وأعادت لها مكانتها بين القوى الكبرى.**

**قاد تغلث فلاسر الأول حملات عسكرية في اتجاهات متعددة، فوصل شمالًا إلى جبال الأناضول، وشرقًا إلى جبال زاغروس، وغربًا حتى سواحل البحر المتوسط. وتفاخر في نقوشه بأنه شاهد مياه البحر العظيم، وهو أمر كان يُعد إنجازًا كبيرًا لملوك تلك الفترة.**

وكان هدفه من هذه الحملات تأمين حدود الدولة، والسيطرة على الطرق التجارية، وإخضاع القبائل التي كانت تهدد استقرار المملكة.

لم تقتصر نقوش تغلث فلاسر الأول على أخبار الحروب، بل تضمنت أيضًا أوصافًا دقيقة لرحلات الصيد التي قام بها. فقد ذكر أنه اصطاد الأسود والثيران البرية والفيلة، وعدَّ ذلك دليلًا على شجاعته وقوة الملك.

ورغم أن الملوك القدماء كانوا يبالغون أحيانًا في وصف إنجازاتهم، فإن هذه النقوش تقدم صورة واضحة عن المكانة التي احتلها الصيد في الثقافة الملكية الآشورية، إذ كان يُنظر إليه على أنه تدريب على الشجاعة والقيادة، وليس مجرد وسيلة للترفيه.

اهتم تغلث فلاسر الأول أيضًا بإعادة ترميم المعابد والقصور، وأمر بإصلاح عدد من المباني التي تضررت مع مرور الزمن، مؤكدًا أن ازدهار الدولة لا يعتمد على الجيش وحده، بل على قوة مؤسساتها الدينية والإدارية.

كما شجع تدوين الأحداث على الألواح والنقوش، ولذلك وصلتنا معلومات كثيرة عن عهده مقارنةً بمن سبقوه.

أدرك تغلث فلاسر الثالث أن السيطرة على المدن بالسيف وحده لا تكفي، لذلك بدأ بإجراء إصلاحات عميقة في الجيش والإدارة. فأعاد تنظيم القوات، وقسمها إلى وحدات متخصصة، واهتم بتدريب الجنود وتجهيزهم، مما جعل الجيش الآشوري أكثر قوة وانضباطًا من أي وقت مضى.

كما أعاد تنظيم الولايات، وعيّن حكامًا يخضعون مباشرة للسلطة المركزية، الأمر الذي قلل من فرص التمرد، وساعد على فرض النظام في أنحاء الإمبراطورية.

# سياسة الترحيل سلاح غير السيف

ومن أكثر السياسات التي اشتهر بها تغلث فلاسر الثالث سياسة الترحيل الجماعي. فبعد إخضاع مدينة أو مملكة متمردة، لم يكن يكتفي بفرض الجزية، بل كان ينقل آلاف السكان إلى مناطق أخرى داخل الإمبراطورية، ويجلب مكانهم جماعات من أقاليم مختلفة.

وكان هدفه من ذلك تقليل فرص قيام الثورات، لأن الشعوب التي تُنقل بعيدًا عن موطنها تفقد كثيرًا من قدرتها على التنظيم والمقاومة.

ورغم أن هذه السياسة كانت قاسية، فإنها أصبحت فيما بعد إحدى السمات البارزة للإدارة الآشورية، وساهمت في دمج شعوب كثيرة داخل الإمبراطورية. خلال حملاته العسكرية، تمكن تغلث فلاسر الثالث من بسط نفوذ آشور على أجزاء واسعة من بلاد الشام، كما ضم مملكة دمشق بعد حصار طويل، وهو حدث أنهى واحدة من أقوى الممالك الآرامية في المنطقة. كما أخضع عددًا من الممالك الأخرى، وأصبحت آشور في عهده القوة الأولى بلا منازع في الشرق الأدنى.

حقيقة مدهشة

يذكر المؤرخون أن سياسة الترحيل التي اتبعها تغلث فلاسر الثالث أدت إلى انتقال مئات الآلاف من الناس عبر أقاليم الإمبراطورية خلال العقود التالية. ورغم قسوتها، فإنها ساعدت أيضًا على انتقال اللغات، والعادات، والحرف، والأفكار بين مناطق كانت بعيدة عن بعضها، فأصبحت الإمبراطورية الآشورية واحدة من أكثر دول العالم القديم تنوعًا.

بعد وفاته، دخلت آشور فترة من الضعف النسبي نتيجة الضغوط الخارجية والصراعات الداخلية، فتراجع نفوذها لعدة أجيال. لكن الدولة لم تنهَر، بل

**احتفظت بأسسها، حتى جاء ملوك أقوياء بعد نحو قرنين ليعيدوا بناء الإمبراطورية من جديد.**

**هل تعلم؟**

**يُعد تغلث فلاسر الأول من أوائل الملوك الذين تركوا لنا وصفًا مفصلًا للنباتات والحيوانات التي شاهدها خلال حملاته، ولذلك لا تُعد نقوشه مصدرًا تاريخيًا فقط، بل مصدرًا مهمًا لدراسة البيئة الطبيعية في الشرق الأدنى القديم.**

## سنوات التراجع عندما خفت بريق آشور

**بعد وفاة تغلث فلاسر الأول، دخلت آشور مرحلة لم تكن بالقوة التي عرفتها في عهده. فقد واجهت الدولة هجمات متكررة من القبائل الجبلية، كما بدأت جماعات جديدة، مثل الآراميين، بالتحرك والاستقرار في أجزاء من بلاد الرافدين، مما زاد الضغط على حدود المملكة.**

**وخلال هذه الفترة تعاقب على العرش عدد من الملوك، من بينهم آشور- بيل- كالا، وإيريبا- أدد الثاني، وشمشي- أدد الرابع، وآشور- ناصر- بال الأول، وآشور- رب الثاني، وتغلاث- بليصر الثاني، وآشور- دان الثاني، وغيرهم من الملوك الذين سعوا إلى الحفاظ على استقرار الدولة في ظروف صعبة. ورغم أن كثيرًا منهم لم يحققوا فتوحات كبرى، فإنهم حافظوا على بقاء المملكة، وأعادوا تنظيم الجيش والإدارة تدريجيًا، حتى أصبحت آشور مستعدة لمرحلة جديدة من القوة والازدهار.**

**وكان من أبرز هؤلاء آشور- دان الثاني، الذي بدأ بإعادة الأمن إلى البلاد، واستعاد عددًا من المناطق التي خرجت عن السيطرة، ويعده المؤرخون الملك الذي مهد الطريق لنهضة الإمبراطورية الآشورية الحديثة.**

لكن النهضة الحقيقية لم تبدأ إلا مع ابنه، آشور -ناصر- بال الثاني، الذي سيغير تاريخ آشور، ويجعل اسمها يثير الرهبة في أنحاء الشرق الأدنى القديم.

## آشور- ناصر- بال الثاني الملك الذي أعاد بناء الإمبراطورية

يُعد آشور- ناصر- بال الثاني أحد أعظم ملوك آشور، ويعني اسمه "الإله آشور حامي الوريث"، وهو اسم يعكس الإيمان بأن الإله آشور يحفظ الملك ونسله ويمنحه الشرعية.

عندما اعتلى العرش، كانت آشور قد استعادت جزءًا من قوتها، لكنه لم يكتفِ بذلك، بل بدأ سلسلة من الحملات العسكرية أعادت للدولة هيبتها، ووسعت حدودها، وأخضعت عددًا كبيرًا من المدن والقبائل.

وكان معروفًا بشخصيته الحازمة، واعتماده على جيش منظم ومدرب، حتى أصبحت الإمبراطورية الآشورية قوة لا يستهان بها.

## كالح العاصمة الجديدة

من أشهر إنجازاته أنه أعاد بناء مدينة كالح (نمرود)، وجعلها عاصمة للدولة. وشهدت المدينة في عهده نهضة عمرانية كبيرة، فشُيدت القصور والمعابد، وزُينت جدرانها بالنقوش الحجرية التي تصور الحروب، والصيد، والاحتفالات الملكية. وقد أصبحت كالح رمزًا لقوة الإمبراطورية، واستقبلت الوفود القادمة من مختلف أنحاء الشرق الأدنى.

ترك آشور- ناصر- بال الثاني عشرات النقوش التي تصف حملاته وإنجازاته. ومن خلالها عرفنا كثيرًا عن الجيش الآشوري، والأسلحة، والمدن، وحتى الحيوانات والنباتات التي شاهدها خلال حملاته.

ورغم أن هذه النقوش تميل إلى المبالغة في تمجيد الملك، فإنها تبقى من أهم المصادر التاريخية لفهم تلك المرحلة.

هل تعلم؟

أقام آشور- ناصر- بال الثاني احتفالًا ضخمًا عند افتتاح عاصمته الجديدة كالح، ودعا إليه آلاف الضيوف من مختلف أنحاء الإمبراطورية، وقد سجل تفاصيل هذا الاحتفال على أحد نقوشه، مما جعله من أقدم الاحتفالات الرسمية الموثقة في التاريخ.

## شلمنصر الثالث الملك الذي واجه أكبر تحالف في زمانه

خلف شلمنصر الثالث والده آشور- ناصر- بال الثاني، وواصل سياسة التوسع العسكري حتى أصبحت الحملات الآشورية حدثًا سنويًا تقريبًا. ويُفسر اسمه بمعنى "الإله شلمن في المقدمة" أو "الإله شلمن هو الأول"، وهو من الأسماء التي تعكس الطابع الديني للأسماء الآشورية.

قاد شلمنصر الثالث عشرات الحملات العسكرية، واتجه غربًا نحو بلاد الشام، حيث واجه مقاومة عنيفة من الممالك التي أدركت أن مواجهة آشور منفردة تعني الهزيمة.

## معركة قرقر عندما اتحد الأعداء

في عام ٨٥٣ ق.م. وقعت واحدة من أشهر معارك الشرق الأدنى القديم، وهي معركة قرقر. ولم تكن هذه المعركة مميزة بسبب عدد القتلى فقط، بل لأنها شهدت أحد أكبر التحالفات العسكرية في ذلك العصر.

فقد اجتمع عدد كبير من الملوك، رغم خلافاتهم القديمة، لمواجهة الجيش الآشوري. وضم التحالف ممالك من سوريا وبلاد الشام، وكان من بينها

مملكة دمشق، ومملكة حماة، كما شارك فيها الملك أخاب ملك مملكة إسرائيل، وفق ما تذكره النقوش الآشورية. وتفاخر شلمنصر الثالث في نقوشه بأنه ألحق الهزيمة بهذا التحالف، لكن كثيرًا من المؤرخين يرون أن المعركة انتهت دون انتصار حاسم لأي طرف، لأن الجيش الآشوري لم يتمكن من إخضاع المنطقة مباشرة، واضطر إلى العودة في حملات لاحقة.

وهذا ما يجعل معركة قرقر مميزة؛ فهي تُظهر أن آشور، رغم قوتها الهائلة، لم تكن تنتصر دائمًا بسهولة، وأن خصومها كانوا قادرين على الاتحاد عندما شعروا بالخطر.

## المسلة السوداء حجر يروي التاريخ

ومن أشهر آثار شلمنصر الثالث المسلة السوداء، وهي قطعة حجرية نُقشت عليها صور ونصوص توثق انتصاراته واستقبال الملوك والوفود التي جاءت لتقديم الجزية.

ومن أشهر مشاهدها صورة الملك ياهو، ملك مملكة إسرائيل، وهو ينحني أمام الملك الآشوري أو أمام ممثله ويقدم الجزية. وتُعد هذه الصورة من أقدم الصور المعروفة لأحد ملوك بني إسرائيل، ولذلك تحظى باهتمام كبير بين المؤرخين وعلماء الآثار.

هل تعلم؟

تُعد المسلة السوداء من أهم الاكتشافات الأثرية في القرن التاسع عشر، لأنها لم تحفظ أسماء الملوك الآشوريين فحسب، بل قدمت أيضًا صورًا لملابس الشعوب المختلفة، وأسلحتهم، والهدايا التي كانوا يحملونها، مما جعلها نافذة حقيقية على الحياة السياسية في الشرق الأدنى القديم.

استخدم الآشوريون رموزًا كثيرة في فنونهم، مثل: قرص الشمس المجنح شجرة الحياة الثور المجنح الكائنات الأسطورية الحامية.

## ياهو الملك الذي خُلّد على حجر

من أكثر ما منح المسلة السوداء شهرتها أنها لا تكتفي بذكر أسماء الملوك، بل تُظهر أحدهم في مشهد نادر، وهو ياهو، ملك مملكة إسرائيل، أو أحد مبعوثيه، وهو يقدم الجزية إلى شلمنصر الثالث.

ويُعد هذا النقش من أقدم الصور المعروفة في التاريخ لأحد ملوك بني إسرائيل، ولذلك يحظى باهتمام كبير بين علماء الآثار والمؤرخين.

وتُظهر المنحوتة رجالًا يحملون أواني ذهبية وفضية، وأسلحة، وعصيًا ملكية، وهدايا ثمينة، بينما يسجل النص المسماري تفاصيل الجزية التي قُدمت للإمبراطورية الآشورية.

ولا تكمن أهمية هذا المشهد في قيمته الفنية فقط، بل لأنه يمثل نقطة التقاء بين النقوش الآشورية والأحداث التي وردت في مصادر تاريخية أخرى، مما جعله واحدًا من أشهر الآثار في تاريخ الشرق الأدنى القديم.

## شلمنصر الخامس الملك الذي حاصر السامرة

خلف شلمنصر الخامس والده تغلث فلاسر الثالث، ويُعتقد أن اسمه يحمل المعنى نفسه الذي حمله أسلافه الذين تسموا باسم شلمنصر، أي "الإله شلمن هو الأول" أو "الإله شلمن في المقدمة".

ورغم أن مدة حكمه كانت قصيرة، فإنها ارتبطت بحدث أصبح من أشهر أحداث تاريخ الشرق الأدنى القديم، وهو حصار مدينة السامرة، عاصمة مملكة إسرائيل التي تقع في منطقة سبسطية قرب مدينة نابلس في فلسطين

**حالياً. بعد أن تمرد ملك السامرة على الحكم الآشوري وتوقف عن دفع الجزية، تحرك شلمنصر الخامس بجيشه نحو المدينة، وفرض عليها حصارًا شديدًا استمر قرابة ثلاث سنوات.**

**وكانت السامرة مدينة حصينة، تقع على تل مرتفع، مما جعل اقتحامها بالقوة أمرًا بالغ الصعوبة، لذلك اعتمد الجيش الآشوري على سياسة الحصار الطويل، ومنع وصول الطعام والمياه والإمدادات إلى داخل المدينة.**

**وتشير المصادر إلى أن سكان المدينة عانوا الجوع والمرض خلال تلك السنوات، حتى أصبحت مقاومتهم تضعف تدريجيًا.**

**وهنا يبرز سؤال حيّر المؤرخين حتى اليوم من هو الملك الذي أسقط السامرة فعلًا؟**

**فبعض المصادر تنسب سقوطها إلى شلمنصر الخامس، لأنه هو الذي بدأ الحصار وقاده، بينما تؤكد نقوش سرجون الثاني أنه هو من دخل المدينة بعد اعتلائه العرش، وأنه هو الذي أخضعها بشكل نهائي.**

**ولهذا لا يزال الباحثون يناقشون إن كان شلمنصر الخامس هو الذي حقق النصر قبل وفاته، أم أن سرجون الثاني أكمل المهمة بعد توليه الحكم.**

**لم يدم حكم شلمنصر الخامس سوى سنوات قليلة، ثم اختفى من مسرح الأحداث بصورة غامضة. فلا توجد نصوص تشرح بدقة كيف انتهى حكمه، مما فتح الباب أمام فرضيات عديدة، منها أنه توفي أثناء الحصار، أو أُطيح به في انقلاب قاده سرجون الثاني.**

**ولهذا يبقى شلمنصر الخامس واحدًا من أكثر ملوك آشور غموضًا، رغم أن اسمه ارتبط بأحد أهم الأحداث في تاريخ المنطقة.**

**هل تعلم؟**

لا يزال سقوط السامرة من أكثر الأحداث التي يناقشها علماء التاريخ والآثار، لأن المصادر الآشورية لا تتفق تمامًا على هوية الملك الذي دخل المدينة أولًا، وهو أمر نادر في التاريخ الآشوري الذي عُرف عادةً بدقة تسجيل انتصارات ملوكه.

## سرجون الثاني الملك الذي بنى مدينةً من أجل المجد

يُعد سرجون الثاني من أعظم ملوك الإمبراطورية الآشورية، ويعني اسمه "الملك الشرعي" أو "الملك الحق". وقد اختار هذا الاسم بعناية، لأنه يذكّر باسم سرجون الأكدي، مؤسس الإمبراطورية الأكدية قبل أكثر من ألف عام، في محاولة لإظهار نفسه وريثًا للملوك العظام.

لكن وصول سرجون الثاني إلى العرش لم يكن واضحًا تمامًا، فما زال المؤرخون يختلفون حول الطريقة التي تولى بها الحكم. فهناك من يرى أنه وصل إلى السلطة بعد وفاة شلمنصر الخامس مباشرة، بينما يعتقد آخرون أنه استولى على العرش بعد صراع داخلي. ولأن المصادر لا تقدم جوابًا قاطعًا، بقيت بداية حكمه محاطة بشيء من الغموض.

بعد اعتلائه العرش، أعلن سرجون الثاني أنه أكمل إخضاع السامرة، وذكر في نقوشه أنه نقل عددًا كبيرًا من سكانها إلى مناطق مختلفة من الإمبراطورية، وأسكن مكانهم جماعات من أقاليم أخرى، استمرارًا لسياسة الترحيل التي اتبعها الملوك الآشوريون.

وقد غيّرت هذه السياسة التركيبة السكانية في المنطقة، وأصبحت من أشهر الأحداث المرتبطة بتاريخ الإمبراطورية الآشورية.

لكن الإنجاز الذي خلد اسم سرجون الثاني لم يكن معركة أو حصارًا، بل قراره ببناء مدينة جديدة بالكامل.

فبدلًا من اتخاذ إحدى المدن القديمة عاصمة له، أمر ببناء مدينة دور شروكين، ويعني اسمها "حصن سرجون" أو "قلعة سرجون".

شُيدت المدينة وفق تخطيط هندسي متقدم بالنسبة لعصرها، فأحيطت بأسوار ضخمة، وزُينت بواباتها بتماثيل الثيران المجنحة ذات الرؤوس البشرية، وأقيم فيها قصر ملكي واسع، ومعابد، وحدائق، ومساكن للموظفين والجنود.

ولم تكن دور شروكين مجرد عاصمة، بل كانت مشروعًا أراد سرجون من خلاله أن يخلد اسمه للأبد، وأن يقدم صورة عن قوة الإمبراطورية وتنظيمها.

والمفارقة العجيبة أن سرجون الثاني لم ينعم طويلًا بالمدينة التي أنفق سنوات في بنائها. فبعد اكتمالها بفترة قصيرة، خرج في حملة عسكرية ضد القبائل في شمال الإمبراطورية، وهناك قُتل سنة ٧٠٥ ق.م.

والأغرب من ذلك أن جثمانه لم يُعثر عليه، أو على الأقل لم يُسترد ليدفن وفق الطقوس الملكية، وهو أمر كان صادمًا للآشوريين، لأنهم كانوا يعتقدون أن عدم دفن الملك دفنًا لائقًا علامة على غضب الآلهة.

كان لوفاة سرجون أثر نفسي كبير في الدولة، حتى إن ابنه سنحاريب اتخذ قرارًا غريبًا؛ فلم يجعل دور شروكين عاصمة للإمبراطورية، رغم أنها كانت جديدة وفخمة، بل نقل العاصمة إلى نينوى.

وهكذا تحولت مدينة بُنيت لتكون أعظم عاصمة في الشرق الأدنى إلى مدينة هجرها البلاط الملكي بعد سنوات قليلة فقط، وهو ما يجعلها واحدة من أغرب قصص المدن في التاريخ.

هل تعلم؟

عندما اكتشف علماء الآثار مدينة دور شروكين في القرن التاسع عشر، وجدوا قصورًا مليئة بالنقوش والتماثيل الضخمة، لكنهم لاحظوا أن كثيرًا من المباني بدت وكأنها لم تُستخدم إلا لفترة قصيرة، وهو ما أكد أن المدينة فقدت مكانتها سريعًا بعد وفاة سرجون الثاني.

دور شروكين (Sharrukin-Dur)، والتي يعني اسمها "حصن سرجون"، تقع اليوم في شمال العراق، بالقرب من مدينة الموصل، في موقع أثري يُعرف باسم خورسباد (Khorsabad)، ويبعد نحو ١٥ كيلومترًا شمال شرقي الموصل. وما تزال آثارها شاهدة على المشروع العمراني الضخم الذي أنشأه سرجون الثاني، رغم أن المدينة لم تبقَ عاصمة للإمبراطورية إلا سنوات قليلة قبل أن ينتقل الحكم إلى نينوى.

بدأ علماء الآثار الفرنسيون التنقيب فيها عام ١٨٤٣م، بقيادة بول إميل بوتا، وكانت من أوائل المدن الآشورية الكبرى التي كُشف عنها في العصر الحديث. وهناك عُثر على القصر الملكي، والثيران المجنحة الضخمة، والجداريات والنقوش المسمارية التي نقلت كثيرًا من أخبار سرجون الثاني.

## سنحاريب الملك الذي جعل نينوى أعجوبة عصرها

خلف سنحاريب والده سرجون الثاني على عرش الإمبراطورية الآشورية سنة ٧٠٥ ق.م.، ويُفسر اسمه غالبًا بمعنى "الإله سين عوّض الإخوة" أو "الإله سين زاد الإخوة"، في إشارة إلى الإله سين، إله القمر عند شعوب بلاد الرافدين.

ورث سنحاريب إمبراطورية واسعة، لكنه ورث معها أيضًا اضطرابات وتمردات في عدة مناطق. فأدرك منذ بداية حكمه أن الحفاظ على

الإمبراطورية يحتاج إلى القوة العسكرية، وإلى إدارة قوية، وإلى عاصمة تليق بدولة أصبحت من أعظم دول العالم القديم.

## نينوى المدينة التي أدهشت العالم

اتخذ سنحاريب قرارًا تاريخيًا بنقل العاصمة إلى نينوى، الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل الحالية.

ولم يكتفِ بجعلها مقرًا للحكم، بل أراد أن يحولها إلى أجمل مدينة في العالم القديم. فأمر بتوسيعها، وأقام حولها أسوارًا ضخمة يبلغ طولها نحو ١٢ كيلومترًا، تتخللها بوابات عظيمة وأبراج دفاعية.

وشيّد فيها قصرًا ملكيًا هائلًا، وصفه في نقوشه بأنه "القصر الذي لا مثيل له"، وزيّنه بمئات المنحوتات الحجرية التي تصور الحروب، والصيد، والاحتفالات، والحياة اليومية. لكن أعظم إنجازاته لم يكن قصرًا ولا سورًا، بل مشروعًا مائيًا هندسيًا يُعد من أروع مشاريع العالم القديم.

فقد أمر بحفر قنوات طويلة لجلب المياه من الجبال والينابيع إلى نينوى، كما شُيّد قناطر حجرية لعبور المياه فوق الوديان، وكان أشهرها قناة جروان، التي تُعد من أقدم القنوات الحجرية المعروفة في التاريخ.

وبفضل هذا المشروع، وصلت المياه إلى الحدائق والحقول والقصور، وتحولت نينوى إلى مدينة خضراء، وهو إنجاز هندسي سبق عصره بقرون.

## حصار أورشليم

ومن أشهر حملاته العسكرية حملته على أورشليم سنة ٧٠١ ق.م.، بعد تمرد عدد من ممالك بلاد الشام. حاصر سنحاريب المدينة وأخضع مدنًا

كثيرة في المنطقة، وتفاخر في نقوشه بأنه "حبس ملكها داخلها كما يُحبس الطائر في قفص".

كان حاكم أورشليم في ذلك الوقت هو الملك حزقيا (حزقيا بن آحاز)، أحد أشهر ملوك مملكة يهوذا. وعندما رأى اتساع نفوذ الإمبراطورية الآشورية، انضم إلى تمرد عدد من ملوك بلاد الشام، وتوقف عن دفع الجزية لآشور، معتقدًا أن التحالف مع مصر وبعض الممالك المجاورة قد يمكنه من مقاومة الجيش الآشوري.

لكن سنحاريب تحرك بجيش ضخم، واستولى على عشرات المدن التابعة لمملكة يهوذا، ثم وصل إلى أورشليم وحاصرها.

وفي نقوشه، كتب سنحاريب أنه "حبس حزقيا داخل أورشليم كما يُحبس الطائر في قفص"، وهي واحدة من أشهر العبارات في التاريخ الآشوري. إلا أنه لم يذكر اقتحام المدينة، بل أشار إلى أن حزقيا قدم جزية كبيرة مقابل رفع الحصار.

وتذكر النقوش أن هذه الجزية شملت كميات من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والعاج والأثاث الفاخر، إضافة إلى مقتنيات ثمينة من القصر الملكي. وتكتسب هذه الحادثة أهمية خاصة لأنها وردت أيضًا في مصادر تاريخية أخرى، مما يجعلها من أكثر أحداث العصر الآشوري توثيقًا. لكن المثير للاهتمام أن نقوشه لا تقول إنه اقتحم أورشليم أو احتلها، بل تكتفي بوصف الحصار وفرض الجزية. ولهذا أصبحت هذه الحملة من أكثر الأحداث التي ناقشها المؤرخون، لأن المصادر المختلفة تروي تفاصيلها بطرق متباينة، بينما يتفق الجميع على أنها كانت واحدة من أهم الحملات العسكرية في عصره.

هل تعلم؟

عُثر على منشور سنحاريب، وهو أسطوانة طينية دوّن عليها الملك أخبار حملاته وإنجازاته، ويُعد من أهم المصادر التي حفظت تفاصيل حكمه، وما زال معروضًا في عدد من المتاحف العالمية، ويستعين به الباحثون لفهم تاريخ الإمبراطورية الآشورية

## اغتيال سنحاريب نهاية ملكٍ على يد أبنائه

بعد سنوات طويلة من الانتصارات العسكرية والمشاريع العمرانية التي جعلت نينوى من أعظم مدن العالم القديم، جاءت نهاية سنحاريب بصورة لم يكن أحد يتوقعها.

ففي عام ٦٨١ ق.م.، وبينما كان الملك داخل أحد المعابد يؤدي شعائره الدينية، تعرض لهجوم مفاجئ، وقُتل على يد اثنين من أبنائه،

وهما أردا- موليسو ونابو- شَر- أوصور، بحسب ما تذكره المصادر الآشورية وعدد من المصادر القديمة.

ويعتقد كثير من المؤرخين أن الدافع وراء الجريمة كان الصراع على ولاية العهد، إذ اختار سنحاريب ابنه الأصغر أسرحدون وريثًا للعرش، متجاوزًا أبناءه الأكبر سنًا. وقد أثار هذا القرار غضب بعض إخوته، فتحول الخلاف داخل القصر إلى مؤامرة انتهت باغتيال الملك.

لكن القاتلين لم ينجحا في الاستيلاء على الحكم. فبعد فترة قصيرة عاد أسرحدون على رأس جيش موالٍ له، وهزم أخويه، وأجبرهما على الفرار، ثم اعتلى العرش ليبدأ عهدًا جديدًا في تاريخ الإمبراطورية الآشورية.

هل تعلم؟

كان اغتيال سنحاريب داخل معبد جريمة صدمت الآشوريين، لأن المعابد كانت تُعد أماكن مقدسة لا يجوز أن تُراق فيها الدماء. ولهذا بقيت حادثة مقتله واحدة من أكثر الأحداث إثارة في تاريخ الأسرة الملكية الآشورية، وأصبحت مثالًا على أن الصراع على العرش قد يمتد حتى داخل أسوار القصر الملكي.

## أسرحدون الملك الذي فتح مصر

بعد اغتيال سنحاريب، اعتلى أسرحدون عرش الإمبراطورية الآشورية سنة ٦٨١ ق.م.، بعد أن انتصر على إخوته الذين حاولوا الاستيلاء على الحكم.

ويُفسر اسمه الآشوري "آشور- أخ- إدّينا" (iddina-aḫa-Aššur) بمعنى "الإله آشور منح أخًا" أو "الإله آشور وهب أخًا"، وهو من الأسماء التي تعكس الاعتقاد بأن الإله آشور يمنح النعم ويحمي الأسرة المالكة.

كان أول ما اهتم به أسرحدون هو إعادة الأمن إلى الإمبراطورية. فقد أصدر العفو عن بعض خصومه، وأعاد تنظيم الإدارة، وعمل على تهدئة الولايات التي شهدت اضطرابات بعد مقتل والده، فاستعادت الدولة توازنها خلال سنوات قليلة. كما أمر بإعادة بناء مدينة بابل، التي كانت قد تعرضت للدمار في عهد سنحاريب. وكان هذا القرار ذا أهمية كبيرة، لأنه ساعد على تهدئة العلاقة مع سكان بابل، وأظهر أن الملك الجديد يفضل المصالحة وإعادة الإعمار إلى جانب القوة العسكرية.

لكن أعظم إنجازات أسرحدون كانت حملته على مصر.

فقد كانت مصر آنذاك من أقوى ممالك العالم، ولم يكن الوصول إليها أمرًا سهلًا، إذ كان على الجيش الآشوري أن يقطع مئات الكيلومترات عبر بلاد الشام وسيناء، مع تأمين الإمدادات والمياه في طريق طويل وشاق.

**ورغم هذه الصعوبات، نجح أسرحدون في عام ٦٧١ ق.م. في دخول الأراضي المصرية، وانتصر على جيش الفرعون طهارقة، أحد ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ذات الأصول النوبية.**

**واستطاع الجيش الآشوري دخول مدينة منف، التي كانت العاصمة الإدارية لمصر في ذلك الوقت، وهو إنجاز عسكري هزّ العالم القديم، لأن مصر بقيت لقرون طويلة عصية على الغزاة.**

**كيف حكم مصر؟**

**لم يحاول أسرحدون أن يحكم مصر بنفسه، بل أبقى عددًا من الحكام المحليين في مناصبهم، بعد أن ألزمهم بالولاء للإمبراطورية الآشورية ودفع الجزية.**

**وكان يدرك أن السيطرة على أرض بعيدة مثل مصر تحتاج إلى إدارة ذكية، وليس إلى الجيوش وحدها.**

**لكن بعد انسحاب الجيش الآشوري، اندلعت بعض التمردات، مما اضطره إلى الإعداد لحملة جديدة، إلا أنه توفي قبل أن يقودها بنفسه.**

**قبل وفاته، اتخذ أسرحدون خطوة غير مألوفة لضمان استقرار الدولة، إذ جمع كبار القادة والولاة وأمراء الأقاليم، وألزمهم بأداء قسم الولاء لابنه آشور بانيبال وريثًا للعرش، ولابنه الآخر شمش- شوم- أوكين حاكمًا على بابل. وقد عُثر على نصوص هذا القسم مكتوبة على ألواح طينية، وهي من أهم الوثائق السياسية التي وصلت إلينا من الإمبراطورية الآشورية، لأنها تكشف كيف حاول الملك منع الصراع على الحكم بعد وفاته، مستفيدًا من المأساة التي شهدها عند اغتيال والده سنحاريب.**

**هل تعلم؟**

عُثر في مدينة كالح (نمرود) على تمثال يُعرف باسم "مسلة أسرحدون"، يصور الملك واقفًا بعد انتصاراته، بينما يظهر أمامه حكام مهزومون، في رسالة واضحة إلى العالم بأن الإمبراطورية الآشورية بلغت في عهده ذروة قوتها.

## آشور بانيبال الملك الذي أنقذ تراث بلاد الرافدين

يُعد آشور بانيبال آخر الملوك العظام في تاريخ الإمبراطورية الآشورية، وقد حكم بين عامي ٦٦٩ و٦٣١ ق.م. (مع وجود اختلافات بسيطة بين الباحثين حول سنة نهاية حكمه).

ويعني اسمه "الإله آشور هو خالق الابن" أو "الإله آشور أنجب الوريث"، وهو اسم يعكس الاعتقاد بأن الإله آشور هو الذي منح الأسرة المالكة وريثها. لكن ما يميز آشور بانيبال عن معظم ملوك عصره أنه لم يكن قائدًا عسكريًا فقط، بل كان أيضًا مثقفًا ومحبًا للعلم.

في زمن كان معظم الملوك يعتمدون على الكتبة لتدوين رسائلهم، كان آشور بانيبال يفتخر بأنه تعلم القراءة والكتابة بنفسه، واستطاع قراءة النصوص المسمارية باللغتين الأكدية والسومرية.

وقد ذكر في إحدى نقوشه أنه تعلم أسرار الكتابة، واطلع على النصوص القديمة، وعدَّ ذلك من أعظم إنجازاته. ولهذا يعده كثير من الباحثين أول ملك عالم في تاريخ الإمبراطورية الآشورية.

كان آشور بانيبال يدرك أن قوة الدولة لا تقوم على السيف وحده، بل على المعرفة أيضًا. لذلك أمر بجمع الألواح الطينية من مختلف أنحاء بلاد الرافدين، سواء من المعابد أو المدارس أو القصور، كما أرسل كتبة لنسخ النصوص القديمة حتى لا تضيع.

وهكذا تأسست مكتبة آشور بانيبال في نينوى، التي ضمت أكثر من ثلاثين ألف لوح طيني، احتوت على موضوعات متنوعة، مثل الأدب، والطب، والفلك، والرياضيات، والقوانين، والرسائل الملكية، والنصوص الدينية، والمعاجم اللغوية.

ولولا هذه المكتبة، لما وصلت إلينا أعمال أدبية خالدة، مثل ملحمة جلجامش، وقصة الطوفان البابلية، ومئات النصوص التي كشفت أسرار حضارات بلاد الرافدين.

## مكتبة أنقذتها النار!

ومن أغرب المفارقات في التاريخ أن سقوط نينوى ساهم في حفظ هذه المكتبة. فعندما أُحرقت القصور خلال سقوط المدينة، تعرضت الألواح الطينية لحرارة شديدة، فأصبحت أكثر صلابة، تمامًا كما يحدث للفخار عند إدخاله إلى الأفران. ولذلك بقيت آلاف الألواح سليمة تحت الأنقاض لأكثر من ألفي عام، حتى اكتشفها علماء الآثار في القرن التاسع عشر.

إنها واحدة من أعجب مفارقات التاريخ؛ فالنار التي دمرت المدينة كانت سببًا في إنقاذ تراثها.

ورغم شهرته بالعلم، لم يكن آشور بانيبال ملكًا مسالمًا. فقد قاد حملات عسكرية عديدة، وأخمد ثورات في أنحاء الإمبراطورية، وكانت أشهرها الحرب ضد شقيقه شمش- شوم- أوكين، الذي كان يحكم بابل.

وبعد صراع طويل، انتصر آشور بانيبال، واستعاد السيطرة على بابل، ثم قاد حملة قوية ضد عيلام، وانتهت بتدمير عاصمتها سوسة، التي كانت من أقدم مدن الشرق الأدنى لم تكن آشور تحارب بابل فقط، بل دخلت في صراعات طويلة مع مملكة عيلام الواقعة في جنوب غرب إيران الحالية كان

**الصراع بينهما بسبب: النفوذ السياسي والسيطرة على الطرق التجارية والرغبة في توسيع الأراضي.**

**وشهد التاريخ الآشوري حملات كثيرة ضد عيلام، وكانت هذه الحروب جزءًا من صراع القوى الكبرى في الشرق القديم.**

**هل تعلم؟**

**عندما اكتشف علماء الآثار مكتبة آشور بانيبال في نينوى، وجدوا ألواحًا تحمل ملاحظة كتبها ناسخوها قبل أكثر من ٢٦٠٠ سنة، تُحذر من سرقة الألواح، وتؤكد أنها ملك للقصر الملكي. ويُعد ذلك من أقدم أشكال حماية الملكية الفكرية في التاريخ.**

## الجيش الآشوري الآلة التي صنعت إمبراطورية

**لم تكن الإمبراطورية الآشورية لتصل إلى هذا الاتساع لولا جيشها الذي أصبح واحدًا من أكثر الجيوش تنظيمًا وقوة في العالم القديم.**

**فقد أدرك الملوك الآشوريون أن السيطرة على أراضٍ واسعة لا تعتمد فقط على شجاعة الجنود، بل تحتاج إلى جيش مدرب، ومنظم، قادر على التحرك بسرعة وتنفيذ أوامر الملك في مختلف المناطق.**

**ولهذا لم يكن الجيش الآشوري مجرد مجموعة من المحاربين الذين يجتمعون وقت الحرب، بل أصبح مؤسسة لها نظام واضح، تضم جنودًا وقادة ومهندسين وكتبة وأطباء.**

**قسّم الآشوريون جيشهم إلى وحدات مختلفة، وكان لكل مجموعة دور محدد في المعركة. فكان هناك:**

**المشاة الذين يشكلون العدد الأكبر من الجيش.**

**رماة السهام الذين يهاجمون من مسافات بعيدة.**

**الجنود المدربون على القتال القريب.**

**سائقو العربات الحربية.**

**المهندسون الذين يبنون طرق العبور وآلات الحصار.**

**وكان القادة يخططون للمعارك بدقة، فيختارون وقت الهجوم وطريق الوصول إلى المدن المعادية.**

**من أهم ما ميز الآشوريين أنهم طوروا فكرة الجيش الدائم، فلم يعودوا يعتمدون فقط على استدعاء المزارعين والتجار عند اندلاع الحرب، بل أصبح لديهم جنود محترفون مدربون باستمرار.**

**وهذا أعطاهم ميزة كبيرة على كثير من خصومهم، لأن الجيش كان جاهزًا للتحرك في أي وقت.**

**لم يكن سر نجاح الجيش الآشوري في العدد فقط، فهناك ممالك امتلكت أعدادًا كبيرة من الجنود، لكن الآشوريين تميزوا بالتنظيم والانضباط واستخدام المعرفة الهندسية.**

**فالحرب عندهم لم تكن مواجهة بين مجموعتين من الرجال فقط، بل كانت تعتمد على التخطيط، وجمع المعلومات، واستخدام التقنيات المناسبة لكل معركة. ولهذا استطاعت آشور أن تبني إمبراطورية امتدت من بلاد الرافدين إلى مناطق واسعة من الشرق الأدنى القديم. لم يكن الجيش الآشوري قويًا بسبب عدد جنوده فقط، بل بسبب الأسلحة والتقنيات التي استخدمها في المعارك. فقد أدرك الملوك الآشوريون أن النصر يحتاج إلى تطوير دائم، ولذلك اهتموا بصناعة الأسلحة وتدريب الجنود على استخدامها بطريقة منظمة.**

## القوس سلاح المسافات البعيدة

كان الرماة من أهم عناصر الجيش الآشوري. واستخدموا الأقواس المركبة التي كانت أقوى من الأقواس العادية، لأنها صُنعت من عدة مواد مثل الخشب ومواد أخرى تساعد على زيادة قوة الرمية. وكان الرماة يبدأون الهجوم من بعيد لإضعاف صفوف العدو قبل وصول الجنود إلى القتال القريب. كما كان وجود الرماة فوق العربات أو خلف صفوف المشاة يعطي الجيش قدرة أكبر على السيطرة على ساحة المعركة.

## السيوف والرماح والدروع

استخدم الجنود الآشوريون مجموعة متنوعة من الأسلحة:

الرماح التي كانت فعالة في تشكيلات الجنود المنظمة.

السيوف والخناجر للقتال القريب والدروع والخوذ لحماية المقاتلين.

وكانت صناعة الحديد من العوامل التي ساعدت الآشوريين على إنتاج أسلحة أكثر صلابة وانتشارًا، مما منحهم تفوقًا على بعض خصومهم.

## العربات الحربية سرعة وقوة في المعركة

كانت العربات الحربية من الأسلحة المهمة في الجيوش القديمة، والآشوريون طوروا استخدامها بشكل كبير.

فلم تكن مجرد وسيلة نقل، بل أصبحت منصة للهجوم، يحمل عليها المحاربون الرماح أو الأقواس، وتساعد على اختراق صفوف العدو بسرعة. وكانت تحتاج إلى خيول مدربة وسائقين مهرة، ولذلك اهتم الآشوريون بتربية الخيول وتنظيم وحدات خاصة لها.

# آلات الحصار السلاح الذي أسقط الأسوار

**ربما كان أعظم تفوق عسكري آشوري هو قدرتهم على اقتحام المدن المحصنة. فقد طوروا آلات حصار مثل:**

**أبراج خشبية مرتفعة تسمح للجنود بالوصول إلى مستوى الأسوار.**

**آلات تضرب الجدران وتفتح الثغرات.**

**وسائل لحماية الجنود أثناء الاقتراب من المدن.**

**وكان المهندسون العسكريون جزءًا أساسيًا من الجيش، لأن سقوط المدينة لم يكن يعتمد فقط على شجاعة الجنود، بل على التخطيط والهندسة.**

**لماذا كان هذا التطور مهمًا؟**

**لأن كثيرًا من الممالك كانت تستطيع الدفاع عن مدنها خلف الأسوار، لكن الجيش الآشوري جعل تلك الأسوار أقل حماية مما كانت عليه.**

**فقد جمع بين: السلاح التدريب الهندسة التنظيم.**

**وهذا هو ما جعل اسمه مرتبطًا بالقوة العسكرية في العالم القديم.**

# عيون الملك الجواسيس في الإمبراطورية الآشورية

**لم تعتمد الإمبراطورية الآشورية على السيف وحده، فالقوة العسكرية مهما بلغت تحتاج إلى شيء آخر لا يقل أهمية إنه المعلومة.**

**فكان الملوك الآشوريون يدركون أن معرفة ما يحدث داخل أراضيهم وخارجها قد تكون الفارق بين الانتصار والهزيمة، ولذلك أنشأوا شبكة واسعة من الرسل والمراقبين والجواسيس الذين كانوا ينقلون الأخبار إلى القصر الملكي.**

**كانت الإمبراطورية الآشورية واسعة جدًا، وتمتد عبر مناطق وشعوب مختلفة، لذلك كان الملك يحتاج إلى معرفة:**

**هل تستعد مدينة ما للتمرد؟**

**هل تحركت جيوش الأعداء؟**

**هل دفعت المناطق التابعة الجزية؟**

**هل توجد مشاكل بين المسؤولين؟**

**وكان المسؤولون في الأقاليم يرسلون تقارير مكتوبة على ألواح طينية إلى الملك، يخبرونه بكل ما يحدث.**

**لم يكن الآشوريون ينتظرون وصول العدو إلى حدودهم، بل كانوا يحاولون معرفة خططه مسبقًا. فكانوا يرسلون أشخاصًا لجمع المعلومات عن:**

**قوة الجيوش المعادية وتحصينات المدن والطرق المؤدية إليها والخلافات الداخلية بين سكانها وهذه المعلومات كانت تساعد القادة على اختيار أفضل طريقة للهجوم.**

**احتاجت الإمبراطورية الكبيرة إلى نظام سريع لنقل الأخبار. ولهذا اهتم الآشوريون بالطرق ومحطات التوقف، وكان الرسل ينقلون الأوامر والرسائل بين العاصمة والمناطق البعيدة. وكانت سرعة وصول الخبر مهمة جدًا، خصوصًا عند حدوث ثورة أو خطر عسكري.**

**من المثير للاهتمام أن بعض الرسائل التي وصلت إلينا لم تكن فقط عن الأعداء، بل عن أحداث داخل القصر نفسه. فقد كان الكهنة والمسؤولون يرسلون للملك أخبارًا عن: النبوءات والعلامات السماوية والمخاطر المحتملة وتصرفات بعض الشخصيات المهمة.**

**وهذا يكشف أن المعلومات كانت جزءًا أساسيًا من طريقة حكم الإمبراطورية. كان الجيش الآشوري هو القوة التي يراها الناس في ساحات القتال، لكن خلف هذا الجيش كانت هناك قوة أخرى تعمل بصمت: شبكة الأخبار والمعلومات. فالإمبراطورية التي تعرف ما يحدث حولها تستطيع أن تستعد قبل الآخرين. ولهذا لم تكن انتصارات آشور نتيجة السلاح فقط، بل نتيجة قدرتها على رؤية ما لا يراه خصومها.**

## الحصار معركة تحتاج إلى الصبر والذكاء

**لم يكن سقوط مدينة محصنة أمرًا سهلًا، فقد كانت الجيوش تحتاج أحيانًا إلى أسابيع أو أشهر للوصول إلى النتيجة. ولهذا كان الجيش الآشوري يدرس المدينة قبل الهجوم:**

**أين توجد نقاط الضعف في الأسوار؟**

**أين يمكن دخول الجنود؟**

**كيف يمكن قطع الإمدادات عن السكان؟**

**ما أفضل طريقة لاستخدام آلات الحصار؟**

**فالحصار عندهم كان عملية عسكرية منظمة، وليس هجومًا عشوائيًا.**

**استخدم الآشوريون آلات حصار متقدمة لعصرهم، ومن أهمها:**

**الكبش الحربي وهو آلة ضخمة تستخدم لضرب أبواب المدن أو جدرانها بهدف فتح ثغرة يدخل منها الجنود.**

**وكان الجنود يحتمون بهياكل خشبية أثناء دفعها نحو الأسوار لحمايتهم من سهام المدافعين.**

كانت أبراجًا خشبية مرتفعة تتحرك على عجلات، تسمح للجنود بالوصول إلى مستوى أعلى من الأسوار ومهاجمة المدافعين.

لم يكتفِ الآشوريون بالهجوم من الخارج، بل استخدموا أسلوبًا أكثر دهاءً، وهو حفر الأنفاق تحت الجدران. كان الهدف: إضعاف أساسات السور فتح طريق لدخول الجنود إجبار المدافعين على ترك مواقعهم.

وكان المهندسون العسكريون يعرفون كيفية التعامل مع هذه العمليات بدقة.

## قطع الإمدادات سلاح الجوع

أحيانًا لم تكن الحاجة إلى اقتحام المدينة مباشرة. فكان الجيش يحاصرها ويمنع وصول: الطعام الماء المساعدات الخارجية. ومع مرور الوقت تصبح المدينة أضعف، وقد تضطر إلى الاستسلام.

ترك الآشوريون مشاهد مذهلة على جدران قصورهم، تظهر الجنود وهم يهاجمون المدن: العربات الحربية والجنود يحملون السلالم وآلات ضرب الأسوار والأسرى بعد سقوط المدن.

وهذه النقوش لا تعطينا أخبارًا عن الحروب فقط، بل تكشف لنا تفاصيل مهمة عن ملابس الجنود وأسلحتهم وطريقة تنظيم الجيش.

لماذا كان الحصار سرًا من أسرار قوة آشور؟

لأن السيطرة على الإمبراطوريات لا تكون فقط بالفوز في المعارك المفتوحة، بل بالقدرة على إسقاط المدن التي ترفض الخضوع.

وقد امتلك الآشوريون مزيجًا نادرًا في عصرهم: جيش قوي ومهندسون بارعون وتنظيم دقيق.

وهذا جعل أسوار المدن التي كانت تبدو منيعة عاجزة أمام قوة آشور.

# عبور الأنهار كيف تحرك الجيش الآشوري عبر أراضٍ بعيدة

لم تكن المعارك دائمًا تجري بالقرب من المدن الآشورية، فقد امتدت حملات الملوك الآشوريين إلى مناطق بعيدة تفصل بينها الأنهار والطرق الصعبة.

وكان أكبر تحدٍ أمام أي جيش قديم هو كيف تنقل آلاف الجنود والخيول والعربات والأسلحة عبر المياه؟

لكن الآشوريين لم يتركوا هذا الأمر للصدفة، بل طوروا وسائل ساعدتهم على التحرك بسرعة داخل إمبراطوريتهم الواسعة.

من الوسائل التي استخدمها الآشوريون إنشاء جسور مؤقتة لعبور الأنهار.

وكانت تُصنع من: القوارب المربوطة بعضها ببعض والأخشاب الموضوعة فوقها ومواد تساعد على الطفو.

وكان هذا يسمح للجنود بالعبور، وأحيانًا بنقل المعدات الثقيلة التي يحتاجها الجيش. كان نقل العربات الحربية والخيول تحديًا كبيرًا، لأن العربات تحتاج إلى أرض مناسبة، والخيول تحتاج إلى عناية أثناء الرحلات الطويلة.

ولهذا كان الجيش الآشوري يهتم بتنظيم الطريق قبل بدء الحملة، ومعرفة أماكن المياه والغذاء.

إن قدرة آشور على تحريك جيوشها لمسافات بعيدة كانت من أهم أسباب توسعها. فلم تكن انتصاراتها بسبب قوة المقاتلين فقط، بل بسبب قدرتها على إيصال هذه القوة إلى المكان المطلوب في الوقت المناسب.

وهنا يظهر جانب مهم من عبقرية الآشوريين لقد فهموا أن الإمبراطورية الكبيرة تحتاج إلى جيش يستطيع السفر بقدر ما يستطيع القتال.

# الحرب علم قبل أن تكون مواجهة

عندما نقرأ عن حملات الملوك الآشوريين، قد نرى فقط المعارك والانتصارات، لكن خلف كل انتصار كان هناك عمل ضخم تخطيط الطرق وتجهيز المؤن وبناء وسائل العبور وتنظيم آلاف الجنود.

ولهذا كان الجيش الآشوري أشبه بمؤسسة ضخمة تتحرك وفق نظام دقيق.

# صيد الأسود عندما واجه الملك ملك الوحوش

من بين المشاهد التي تركها الآشوريون على جدران قصورهم، هناك مشاهد لا تشبه غيرها؛ ليست معارك بين جيوش، بل مواجهة بين الإنسان وأحد أقوى حيوانات الطبيعة الأسد. فقد كان صيد الأسود عند الملوك الآشوريين أكثر من مجرد هواية، بل كان يحمل معنى رمزيًا وسياسيًا.

كان الأسد في نظر الآشوريين من أعظم الحيوانات وأكثرها هيبة فهو يمثل: القوة الشجاعة السيطرة. ولهذا عندما يظهر الملك وهو يواجه الأسد، لم يكن المشهد مجرد صيد، بل رسالة تقول إن الملك قادر على التغلب على أخطر القوى، مثلما يستطيع حماية شعبه والانتصار على أعدائه.

# صيد الأسود في عهد آشور بانيبال

أشهر مشاهد صيد الأسود وصلت إلينا من عهد الملك آشور بانيبال، وهي منحوتات حجرية عُثر عليها في قصره بمدينة نينوى.

وتُعد هذه المنحوتات من أعظم الأعمال الفنية الآشورية، لأنها لا تُظهر القوة فقط، بل تكشف قدرة الفنان الآشوري على تصوير الحركة والمشاعر فنرى الأسد وهو يهاجم الخيول وهي تتحرك والجنود وهم يساعدون الملك وتفاصيل دقيقة في أجسام الحيوانات.

**حتى إن بعض الباحثين يعتبرونها من أروع المنحوتات التي وصلت من العالم القديم.**

**هل كان الصيد حقيقيًا أم احتفالًا رمزيًا؟**

**كان صيد الأسود يحدث فعلًا، لكنه كان أيضًا يحمل جانبًا احتفاليًا.**

**ففي بعض الحالات كانت الأسود تُجمع أو تُطلق في أماكن مخصصة ليقوم الملك بقتلها أمام الحاضرين.**

**والهدف لم يكن فقط التخلص من الحيوانات، بل إظهار شجاعة الملك أمام شعبه والنخبة الحاكمة.**

**لماذا اهتموا بتسجيل هذه المشاهد؟**

**لأن الملك الآشوري لم يكن يريد أن يُذكر فقط بأنه حاكم، بل أراد أن يظهر بصورة البطل الذي ينتصر على الفوضى والخطر فكما يهزم الأسد، يهزم أعداءه ولهذا ظهرت مشاهد صيد الأسود بجانب مشاهد الحروب والانتصارات في قصورهم.**

**ما يجعل هذه المنحوتات مميزة أنها لم تحفظ لنا قصة ملك فقط، بل حفظت لنا تفاصيل من الحياة الآشورية شكل العربات وطريقة حمل الأسلحة وملابس الجنود واهتمامهم بالحيوانات ومهارة الفنانين الآشوريين.**

**وبعد آلاف السنين، ما زالت هذه الصور تجعلنا نشاهد لحظة من الماضي وكأنها حدثت أمام أعيننا.**

# سميراميس الملكة التي صنعت الأسطورة

تُعد سميراميس أو شاميرام من أشهر النساء في تاريخ الشرق الأدنى القديم، حتى إن شهرتها تجاوزت شهرة كثير من الملوك. لكن الغريب أن ما نعرفه عنها يجمع بين التاريخ والأسطورة، ولذلك يصعب أحيانًا الفصل بين الحقيقة والخيال.

ويرى معظم الباحثين أن الشخصية التاريخية التي استُلهمت منها سميراميس هي الملكة شَمّورامات (Šammuramat)، زوجة الملك شمشي- أدد الخامس، ووالدة الملك أدد- نيراري الثالث.

بعد وفاة زوجها نحو عام ٨١١ ق.م.، كان ابنها أدد- نيراري الثالث لا يزال صغير السن، لذلك تولت شمورامات إدارة شؤون الدولة عدة سنوات بصفتها وصية على العرش.

وكان هذا أمرًا نادرًا جدًا في الإمبراطورية الآشورية، إذ لم يكن من المعتاد أن تتولى امرأة إدارة دولة بهذه الضخامة، وهو ما جعلها شخصية استثنائية في تاريخ آشور. وتشير النقوش الآشورية إلى أنها شاركت في بعض الحملات العسكرية، ورافقت الجيش في عدد من المناسبات الرسمية، وهو امتياز لم تحصل عليه كثير من الملكات.

## من التاريخ إلى الأسطورة

بعد قرون من وفاتها، بدأت القصص تنسج حول شخصيتها، وخاصة في المصادر اليونانية. فقد قيل إنها بنت مدنًا عظيمة، وشقت الأنهار، وأقامت القصور، بل وزعم بعض الكتّاب أنها هي التي بنت أسوار بابل وحدائقها المعلقة، وأنها قادت جيوشًا وصلت إلى الهند.

لكن المؤرخين اليوم يرون أن معظم هذه الروايات أسطورية، وأن إنجازات ملوك كثيرين نُسبت إليها مع مرور الزمن، حتى أصبحت رمزًا للملكة القوية والحاكمة الحكيمة.

لماذا بقي اسمها حيًا؟

رغم أن شمورامات حكمت سنوات قليلة فقط، فإن شخصيتها تركت أثرًا كبيرًا في ذاكرة الشعوب، وتحولت إلى بطلة في القصص والأساطير، وذكرها مؤرخون يونانيون ورومان بعد وفاتها بقرون طويلة.

ولهذا بقي اسم سميراميس أشهر من أسماء كثير من الملوك الذين حكموا عشرات السنين، وأصبحت رمزًا للمرأة القوية في حضارات الشرق القديم.

هل تعلم؟

يُعتقد أن اسم سميراميس هو الصيغة اليونانية لاسم شمورامات أو شاميرام، وقد انتقل إلى اللغات الأوروبية بهذه الصورة، حتى أصبح أشهر بكثير من اسمها الآشوري الأصلي.

## المرأة التي هزمها التاريخ وانتصرت عليها الأسطورة

عندما يُذكر اسم سميراميس، يتبادر إلى الأذهان اسم ملكةٍ فاتنة، وقائدة جيوش، وبانية مدن، وامرأةٍ قيل إنها حكمت إمبراطورية امتدت من جبال زاغروس إلى حدود الهند. لكن السؤال الذي حيّر المؤرخين لقرون هو هل كانت سميراميس شخصية حقيقية، أم أنها مجرد أسطورة؟

الإجابة ليست بسيطة، لأن سميراميس تقف على الحد الفاصل بين التاريخ والخيال. فهناك امرأة حقيقية عاشت في العصر الآشوري، لكن شهرتها

كانت من القوة بحيث نسجت الأجيال حولها عشرات القصص، حتى أصبح من الصعب التمييز بين ما حدث فعلًا وما أضافه الخيال.

ويرى معظم الباحثين اليوم أن الشخصية التاريخية التي عُرفت لاحقًا باسم سميراميس هي الملكة الآشورية شمّورامات (Šammuramat)، زوجة الملك شمشي- أدد الخامس، ووالدة الملك أدد- نيراري الثالث.

وقد عاشت في القرن التاسع قبل الميلاد، ووصل اسمها إلينا من خلال النقوش الآشورية، وهو أمر نادر، لأن أسماء الملكات كانت قلما تُذكر في السجلات الرسمية، إلا إذا كان لهن دور استثنائي.

لكن شمورامات لم تكن ملكة عادية، بل أصبحت واحدة من أشهر نساء العالم القديم، حتى إن شهرتها استمرت أكثر من ألفي عام بعد وفاتها.

وتشير النقوش إلى أن اسمها ظهر إلى جانب اسم ابنها في بعض الوثائق الرسمية، كما رافقت الجيش في عدد من الحملات، وهو امتياز لم يكن يُمنح عادة إلا للملك نفسه.

ورغم أن فترة وصايتها لم تدم طويلًا، فإنها نجحت في الحفاظ على استقرار الإمبراطورية حتى أصبح ابنها قادرًا على تولي الحكم بنفسه.

وهذا وحده كان كافيًا ليجعلها شخصية استثنائية في تاريخ آشور.

## من شمورامات إلى سميراميس

بعد مرور قرون على وفاتها، وصلت أخبارها إلى المؤرخين الإغريق، لكن اسمها الآشوري شمورامات كان صعب النطق بالنسبة لهم، فتحول تدريجيًا إلى سميراميس، وهو الاسم الذي اشتهرت به في كتب التاريخ والأساطير.

ومع مرور الزمن، لم تعد سميراميس مجرد ملكة آشورية، بل أصبحت بطلة لقصص لا حصر لها، حتى إن بعض المؤرخين نسبوا إليها أعمالًا استغرقت مئات السنين، وجعلوها تعيش عمرًا يكفي لتشييد مدن وفتح قارات. وهكذا بدأت الحقيقة تمتزج بالخيال، وتحولت المرأة الحقيقية إلى أسطورة لا تزال تُروى حتى يومنا هذا.

## أساطير سميراميس عندما امتزج الخيال بالتاريخ

لم تحظَ امرأة في تاريخ الشرق الأدنى القديم بما حظيت به سميراميس من شهرة. فبعد وفاتها بقرون، بدأت الحكايات تتناقل اسمها جيلاً بعد جيل، حتى أصبحت بطلة لعشرات الأساطير، ونُسبت إليها أعمال يعجز عنها جيش كامل، لا امرأة واحدة.

واليوم، ينظر المؤرخون إلى هذه الروايات على أنها جزء من التراث الأدبي والأسطوري، لا بوصفها حقائق تاريخية، لكنها تكشف كيف تخيلت الشعوب القديمة المرأة التي حكمت إمبراطورية قوية.

## الأسطورة الأولى الطفلة التي ربّتها الحمائم

تروي إحدى أشهر الأساطير أن سميراميس لم تولد ولادةً عادية، بل كانت ابنة الإلهة ديركيتو، التي ارتبطت بالماء والخصوبة في بعض المعتقدات القديمة، ووالدها إنسان من عامة الناس.

وتقول الرواية إن الإلهة تخلت عن طفلتها بعد ولادتها، فوضعتها في الصحراء، حيث كادت تموت جوعًا وعطشًا. لكن حدثًا عجيبًا غيّر مصيرها فقد هبطت مجموعة من الحمائم حول الرضيعة، وأخذت تطعمها وتحميها بأجنحتها حتى عثر عليها أحد الرعاة، فأنقذها ورباها حتى كبرت.

ولهذا السبب أصبحت الحمامة رمزًا ملازمًا لسميراميس في كثير من القصص القديمة، بل إن بعض الرسامين كانوا يرسمونها محاطة بالحمائم أو واقفةً بينها.

أسطورة أم حقيقة؟

يرى المؤرخون أن هذه القصة أسطورة خالصة، ولا يوجد أي نقش آشوري يشير إليها. لكنها تعكس المكانة الكبيرة التي وصلت إليها سميراميس في خيال الشعوب، حتى جعلوها ابنةً للآلهة، لا امرأةً عادية.

## الأسطورة الثانية الملكة التي سحر جمالها الملوك

تروي المصادر اليونانية أن سميراميس عُرفت منذ شبابها بجمالها اللافت وذكائها، فتزوجت أولًا قائدًا عسكريًا يُدعى أونّيس.

وخلال إحدى الحملات العسكرية، شاركت زوجها في حصار مدينة، ويقال إنها قدمت خطة عسكرية ساعدت على تحقيق النصر.

وعندما علم الملك نينوس بما فعلته، أُعجب بذكائها قبل جمالها، وطلب من أونّيس أن يتنازل له عنها ليتزوجها. وتضيف الأسطورة أن أونّيس رفض، لكن الملك أصر على طلبه، فانتهى الأمر بانتحار أونّيس، لتصبح سميراميس زوجة الملك نينوس، ثم ملكة آشور.

أسطورة أم حقيقة؟

لا توجد أي وثيقة آشورية تذكر الملك نينوس أو القائد أونّيس، ويرى معظم الباحثين أن هاتين الشخصيتين من ابتكار المؤرخين الإغريق، لذلك تُعد هذه الرواية أقرب إلى الأدب الأسطوري منها إلى التاريخ.

## الأسطورة الثالثة هل بنت سميراميس مدينة بابل؟

من أكثر الروايات انتشارًا أن سميراميس كانت صاحبة الفضل في بناء مدينة بابل، أو على الأقل في إعادة تشييدها وتوسيعها.

فقد ذكر بعض المؤرخين الإغريق أنها أمرت ببناء أسوار شاهقة تحيط بالمدينة، وشقت قنوات مائية، وأقامت جسورًا تعبر نهر الفرات، حتى أصبحت بابل من أعظم مدن العالم. بل إن بعض الروايات ذهبت إلى أبعد من ذلك، فنسبت إليها تشييد القصور والمعابد، وجعلتها صاحبة كل مشروع عمراني عظيم في بابل.

لكن علماء الآثار اليوم يؤكدون أن مدينة بابل كانت قائمة قبل زمن شمورامات بقرون طويلة، وأن أسوارها ومعابدها شُيدت في عهود ملوك بابليين، ثم جُددت وتوسعت في فترات مختلفة، ولا سيما في عهد نبوخذ نصر الثاني.

أسطورة أم حقيقة؟ أسطورة.

لا يوجد أي نقش آشوري أو بابلي ينسب بناء بابل إلى شمورامات، ويعتقد الباحثون أن المؤرخين الإغريق نسبوا إليها إنجازات عدد من الملوك البابليين، لأن اسمها أصبح مرادفًا للعظمة والقدرة على البناء.

## الأسطورة الرابعة هل بنت الحدائق المعلقة؟

من أشهر القصص التي ارتبطت باسم سميراميس أنها أمرت ببناء الحدائق المعلقة، إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم وتروي بعض الأساطير أنها أنشأتها لتخفف حنين إحدى الملكات إلى الجبال والغابات التي نشأت

بينها، فأمرت بزراعة الأشجار والزهور فوق مصاطب مرتفعة، حتى تبدو كأنها جبال خضراء وسط المدينة.

وقد ساهمت هذه الرواية في زيادة شهرة سميراميس، حتى أصبح اسمها يقترن بالحدائق المعلقة في كثير من الكتب القديمة.

لكن الحقيقة التاريخية أكثر تعقيدًا، إذ لا يوجد دليل أثري أو نقش معاصر يربط شمورامات بهذه الحدائق. بل إن أغلب الباحثين يرجحون أن الحدائق - إن كانت موجودة فعلًا - ارتبطت بعهد نبوخذ نصر الثاني، بينما يرى باحثون آخرون أنها ربما كانت في نينوى وشيدها سنحاريب ضمن مشاريعه المائية الضخمة.

أسطورة أم حقيقة؟

لا يوجد دليل تاريخي يثبت أن سميراميس بنت الحدائق المعلقة. ولا يزال موقع الحدائق الحقيقي ومنشئها من أكثر القضايا التي يناقشها علماء الآثار حتى اليوم.

## الأسطورة الخامسة المرأة التي أرادت فتح العالم

لم تكتفِ الأساطير بجعل سميراميس ملكة على آشور، بل صورتها قائدة لا يشبعها النصر. فتقول الروايات إنها أخضعت ميديا وفارس، ثم اتجهت إلى آسيا الصغرى، ووصلت إلى مصر، قبل أن تقرر القيام بأجرأ حملة عسكرية في حياتها، وهي غزو الهند.

وكانت الهند في نظر شعوب ذلك العصر أرضًا بعيدة وغامضة، ولذلك اعتُبرت هذه الحملة ذروة طموحها العسكري.

وتذكر الأسطورة أن ملك الهند كان يمتلك عددًا كبيرًا من الفيلة الحربية، وهي حيوانات لم يكن الجيش الآشوري يستخدمها في حروبه.

وللتغلب على هذه المشكلة، أمرت سميراميس بصنع فيلة وهمية من جلود الجواميس، ثم حُشيت بالقش، ووُضعت فوق ظهور الجمال من بعيد لتبدو كأنها فيلة حقيقية. لكن الخدعة لم تنجح، إذ أفزعت رائحة الجلود الجمال، فدب الاضطراب في الجيش، وانتهت الحملة بالفشل، واضطرت سميراميس إلى الانسحاب بعد أن أصيبت بجروح.

أسطورة أم حقيقة؟ أسطورة.

لا توجد أي مصادر آشورية تؤكد أن شمورامات قادت حملة إلى الهند، ويرى المؤرخون أن هذه القصة من نسج الخيال اليوناني، وربما أُلفت لإظهار أن حتى أعظم الحكام قد يفشلون عندما يدفعهم الطموح إلى تجاوز حدود الواقع.

## الأسطورة الأخيرة كيف انتهت حياة سميراميس؟

كما اختلفت الروايات في بداية حياة سميراميس، اختلفت أيضًا في نهايتها. فبعض الأساطير تقول إنها حكمت الإمبراطورية أكثر من أربعين عامًا، ثم شعرت أن الزمن قد حان لتسليم الحكم إلى ابنها، فتنازلت عن العرش بإرادتها، وهو أمر نادر في قصص الملوك القدماء.

لكن روايات أخرى أكثر غرابة تذكر أن نهاية سميراميس لم تكن كنهاية البشر. فبعد أن أنهت حياتها في الحكم، تحولت إلى حمامة بيضاء، ثم حلّقت في السماء واختفت بين أسراب الحمام، ولم يرها أحد بعد ذلك.

ولهذا السبب، أصبحت الحمامة رمزًا لسميراميس في كثير من القصص القديمة، واعتقد بعض الناس أنها لم تمت، بل عادت إلى الآلهة التي جاءت منها.

وتوجد روايات أخرى تزعم أنها قُتلت في مؤامرة داخل القصر، أو ماتت أثناء إحدى حملاتها العسكرية، لكن هذه القصص لا تستند إلى أدلة تاريخية، وإنما ظهرت في مؤلفات كُتبت بعد حياتها بقرون.

أسطورة أم حقيقة؟

لا توجد أي مصادر آشورية تذكر كيف توفيت شمورامات، كما لا توجد أدلة على قصة تحولها إلى حمامة أو اغتيالها. ويُرجح الباحثون أن هذه الروايات أضيفت لاحقًا لتمنح حياتها نهاية تليق ببطلة أسطورية.

لماذا أصبحت سميراميس أسطورة؟

قد يتساءل القارئ لماذا نُسبت إلى سميراميس كل هذه الإنجازات، بينما لم يحدث الأمر مع معظم ملكات العالم القديم؟

يرى كثير من المؤرخين أن السبب يعود إلى أن شمورامات كانت امرأة حكمت إمبراطورية عسكرية في زمن كان الحكم فيه حكرًا على الرجال. وكان هذا أمرًا استثنائيًا إلى درجة أن الأجيال اللاحقة لم تكتفِ بحقيقتها التاريخية، بل راحت تضيف إليها قصة بعد أخرى، حتى أصبحت رمزًا للقوة والذكاء والجمال والطموح.

## من القصص الشعبية

تناقلت الأجيال العديد من الروايات والأساطير عن الملكة سميراميس، حتى أصبحت شخصيتها تمتزج بين الحقيقة والخيال. ومن أشهر هذه القصص

**ما يروى أنها كانت راعيةً للإبل عُرفت بجمالها الأخاذ، فرآها أحد الملوك فأُعجب بها وتزوجها.**

**وتقول الرواية إنها طلبت من زوجها أن يجعلها ملكة ليومٍ واحد، فوافق دون أن يتوقع ما سيحدث. وما إن جلست على العرش حتى أصدرت أوامرها بقتل الملك وأبنائه، ثم أعلنت نفسها ملكة على البلاد.**

**وتروي قصة أخرى أنها عندما أرادت إخضاع أرمينيا، أرسلت إلى ملكها تدعوه إلى الاستسلام حقنًا للدماء، لكنه رفض. فعرضت عليه الزواج لتجنب الحرب، إلا أنه تمسك بحبيبته ورفض عرضها. وعندئذٍ أرسلت من اغتاله، وأُحضرت رأسه إليها. ولما رأته، قيل إنها بكت إعجابًا بجماله وندمت على مقتله. ولا تزال بعض الروايات الشفوية المتداولة تذكر أن الأرمن يقولون للآشوريين بيننا سيف من نار**

**كما تُروى حكاية أخرى تقول إن ابنها أحب امرأةً عُرفت بالذكاء والجمال، فخشيت سميراميس أن تنافسها على السلطة، فأمرت بقتلها قبل أن تصبح صاحبة نفوذ في القصر.**

**وتختتم بعض الروايات الشعبية قصة سميراميس بأنها اختفت في ظروف غامضة، حتى تعددت الأقوال حول نهايتها، ولم يُعرف على وجه اليقين كيف انتهت حياتها.**

**وتبقى هذه القصص جزءًا من التراث الشعبي والأساطير التي نُسجت حول شخصية سميراميس، ولا توجد أدلة تاريخية تؤكد وقوعها، إلا أنها تعكس المكانة الكبيرة التي احتلتها هذه الملكة في خيال الشعوب القديمة.**

**كما ساعد المؤرخون اليونانيون، مثل كتيسياس وديودور الصقلي، في نشر هذه الصورة الأسطورية. فقد كتبوا عنها بعد حياتها بقرون، وأضافوا إلى**

سيرتها كثيرًا من القصص التي يصعب إثباتها، لكنها جعلتها واحدة من أشهر نساء التاريخ القديم.

ومع مرور الزمن، أصبحت سميراميس شخصية تتجاوز حدود آشور، فظهرت في الأدب، والأساطير، واللوحات الفنية، وحتى في المسرحيات والروايات الحديثة، وتحول اسمها إلى رمز للملكة العظيمة في ثقافات متعددة.

## الحقيقة التي بقيت

رغم كل ما نُسج حولها من أساطير، فإن الحقيقة التي لا يختلف عليها المؤرخون هي أن شمورامات كانت شخصية تاريخية حقيقية، وأنها لعبت دورًا مهمًا في السنوات الأولى من حكم ابنها أدد- نيراري الثالث، ونجحت في الحفاظ على استقرار الإمبراطورية في مرحلة حساسة.

أما بناء بابل، والحدائق المعلقة، وغزو الهند، والتحول إلى حمامة، فهي روايات تنتمي إلى عالم الأساطير أكثر من انتمائها إلى التاريخ.

ومع ذلك، فإن هذه الأساطير تكشف لنا أمرًا مهمًا؛ فحتى بعد مرور أكثر من ٢٨٠٠ عام على حياتها، ما زال اسم سميراميس حاضرًا في ذاكرة الناس، بينما نُسي أسماء عشرات الملوك الذين حكموا قبلها وبعدها. وربما يكون هذا هو سر خلودها الحقيقي؛ فقد انتصرت الأسطورة على الزمن، لكن جذورها بقيت مغروسة في شخصية امرأة آشورية حقيقية اسمها شمورامات.

# نبوءات السماء عندما كان الفلك يقرر مصير الملوك

الآشوريون لم ينظروا إلى السماء للمعرفة فقط، بل كانوا يعتقدون أن حركة النجوم والكواكب تحمل إشارات عن المستقبل كان في البلاط الملكي كهنة مختصون بمراقبة كسوف الشمس والقمر وحركة الكواكب والظواهر السماوية الغريبة. وكانوا يرسلون تقارير للملك يفسرون فيها ما تعنيه هذه العلامات، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالحرب أو صحة الملك.

كان أكثر ما يقلق الملوك هو العلامات التي تُفسر بأنها خطر على حياتهم أو على استقرار المملكة. ولأن حياة الملك كانت مرتبطة في نظرهم بمصير الدولة، كانت أي إشارة تُؤخذ بجدية كبيرة.

رغم ارتباط مراقبة السماء بالمعتقدات الدينية، فإن الآشوريين قدموا إسهامات مهمة في رصد الظواهر الفلكية فقد تركوا ألواحًا مسمارية سجلوا فيها: حركات القمر ومواقع الكواكب ومواعيد حدوث الكسوف وحسابات مرتبطة بالزمن والتقويم وكان هذا الاهتمام بالسماء جزءًا من تراث بلاد الرافدين العلمي الذي انتقل لاحقًا إلى حضارات أخرى.

لم يكن قرار الحرب أو تنصيب وريث العرش منفصلًا أحيانًا عن تفسيرات الكهنة. فالملك لم يكن يبحث فقط عن قوة الجيش، بل كان يريد أن يعرف: هل الوقت مناسب للهجوم؟ هل الآلهة راضية؟ هل هناك خطر ينتظره؟

وهكذا أصبح الفلك جزءًا من عالم الحكم، حيث اجتمعت المعرفة والخوف والإيمان في قصر واحد. إن اهتمام الآشوريين بالسماء يكشف لنا جانبًا آخر من شخصيتهم؛ فالشعب الذي عرف بالحرب لم يكن ينظر فقط إلى الأرض وساحات القتال، بل رفع عينيه أيضًا نحو النجوم محاولًا فهم أسرار الكون.

# مكتبة آشور بانيبال القصر الذي تحول إلى ذاكرة العالم

**عندما نفكر في الحضارة الآشورية، قد نتذكر الجيوش والفتوحات والقصور الضخمة، لكن أحد أعظم إنجازاتها لم يكن سلاحًا ولا معركة، بل كان مجموعة من الألواح الطينية التي حفظت ذاكرة الإنسان.**

**في مدينة نينوى، أنشأ الملك آشور بانيبال واحدة من أشهر المكتبات في العالم القديم، جمع فيها آلاف النصوص المكتوبة بالخط المسماري.**

**كان آشور بانيبال مختلفًا عن كثير من ملوك عصره فبالإضافة إلى كونه قائدًا عسكريًا، كان مهتمًا بالمعرفة والكتابة، وتذكر النصوص أنه كان يعرف القراءة والكتابة، وهي مهارة لم تكن شائعة بين الملوك في ذلك الزمن. ولهذا لم يكتفِ ببناء القصور، بل أراد أن يجمع علوم بلاد الرافدين في مكان واحد.**

**ماذا احتوت المكتبة؟**

**لم تكن المكتبة مجرد مكان للكتب، بل كانت خزينة للمعرفة احتوت على ألواح تتحدث عن: الأدب والأساطير الطب والعلاجات الفلك وحركة النجوم التنبؤات والطقوس الدينية القوانين والإدارة القواميس وتعليم اللغة المسمارية.**

**ومن أشهر النصوص التي وصلت إلينا من مكتبة نينوى نسخ من ملحمة جلجامش، التي حفظت لنا واحدة من أقدم القصص الأدبية في تاريخ البشرية.**

**كيف جُمعت هذه المعرفة؟**

أرسل آشور بانيبال الكتبة إلى مختلف مناطق بلاد الرافدين لجمع النصوص القديمة ونسخها فلم تكن المكتبة تعتمد فقط على إنتاج آشوري جديد، بل حفظت تراث حضارات سبقتها، خاصة السومريين والبابليين.

وهذا جعلها جسرًا بين أجيال مختلفة من المعرفة.

لماذا كانت الألواح الطينية مهمة؟

قد يبدو غريبًا أن قطعة طين صغيرة تستطيع أن تحمل تاريخ آلاف السنين، لكن هذا هو سر الكتابة المسمارية.

فالطين عندما يُحرق يصبح صلبًا، ولهذا نجت آلاف الألواح حتى بعد سقوط نينوى واندثار الإمبراطورية وبفضل هذه الألواح عرف العلماء الكثير عن حياة سكان بلاد الرافدين وأفكارهم.

## اكتشاف المكتبة بعد آلاف السنين

عندما اكتشف علماء الآثار بقايا مكتبة آشور بانيبال في نينوى في القرن التاسع عشر، كانت لحظة عظيمة في دراسة التاريخ.

فقد فتحت هذه الألواح نافذة على عالم كان مجهولًا، وأعادت إلى الإنسان قصصًا وعلومًا ظن أنها ضاعت إلى الأبد.

سقطت آشور، وتهدمت قصورها، وانتهى حكم ملوكها، لكن المكتبة بقيت شاهدة على أن أعظم ما تركته الحضارات ليس الذهب ولا الجيوش، بل الأفكار التي تنتقل عبر الزمن.

فقد يكون الملك الذي يحمل السيف قويًا في عصره، لكن الكاتب الذي يحفظ المعرفة قد يبقى حاضرًا لآلاف السنين.

## لعنات الملوك هل كانت مجرد كلمات أم وسيلة حماية؟

كان الملوك يضعون أحيانًا عبارات تحذيرية على النقوش أو أسفل الأبنية، مثل الدعاء على من يحاول إزالة اسم الملك أو تخريب البناء.

لم تكن "لعنات" بالمعنى الذي نراه في الأفلام، بل كانت جزءًا من اعتقادهم بأن الكلمات المقدسة لها قوة.

## الضرائب

اعتمدت الدولة الآشورية على نظام منظم للضرائب كانت الضرائب تُجمع من الأراضي الزراعية والتجارة والمدن التابعة للإمبراطورية.

واستُخدمت في تمويل الجيش وبناء القصور والمعابد وإنشاء الطرق والقنوات وإدارة شؤون الدولة.

## نساء القصر أكثر من مجرد زوجات للملوك

بعض النساء في القصر امتلكن: ممتلكات خاصة وخدمًا ونفوذًا اقتصاديًا ودورًا في السياسة وهذا يعطي صورة مختلفة عن المرأة الآشورية.

## اللاماسو حراس بوابات آشور

من أكثر الصور التي ارتبطت بالحضارة الآشورية تماثيل ضخمة تجمع بين جسد الثور أو الأسد، وأجنحة الطائر، ووجه الإنسان. هذه الكائنات التي عُرفت باسم اللاماسو لم تكن مجرد منحوتات للزينة، بل كانت تحمل معنى دينيًا ورمزيًا عميقًا.

**كان الآشوريون يضعون تماثيل اللاماسو عند مداخل القصور والمعابد، خاصة في المدن الكبرى مثل نينوى ودور شروكين، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تحرس المكان وتمنع دخول القوى الشريرة.**

**لم يكن اختيار شكل اللاماسو عشوائيًا، فكل جزء منه يحمل رمزًا:**

**جسد الثور أو الأسد يرمز إلى القوة والشجاعة.**

**الأجنحة ترمز إلى القدرة على الحماية والارتباط بالعالم السماوي.**

**وجه الإنسان يرمز إلى الحكمة والذكاء.**

**وكأن الآشوريين جمعوا في مخلوق واحد أهم الصفات التي أرادوها للحاكم والإمبراطورية القوة والحكمة والحماية.**

**عندما يدخل الزائر إلى قصر الملك الآشوري، كانت أولى الصور التي تواجهه هي هذه التماثيل الهائلة.**

**كان وجودها عند البوابات يرسل رسالة واضحة هذا ليس مكانًا عاديًا، بل قصر تحميه قوة عظيمة، ويدخله من يدخل إلى عالم الملك والسلطة. ولهذا لم تكن اللاماسو مجرد فن، بل كانت جزءًا من لغة الهيبة التي استخدمها الملوك الآشوريون.**

**من التفاصيل المدهشة في بعض تماثيل اللاماسو أن الفنان الآشوري نحت لها خمس أرجل بدلًا من أربع وعندما ينظر إليها الزائر من الأمام يراها ثابتة، وعندما ينظر إليها من الجانب تبدو وكأنها تمشي.**

**وهذا يوضح براعة النحات الآشوري، الذي أراد أن يجمع بين منظر الثبات والقوة وبين إحساس الحركة والحياة.**

# من بوابات آشور إلى متاحف العالم

بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية، بقيت هذه التماثيل مدفونة لآلاف السنين، ثم اكتشفها علماء الآثار وأصبحت من أشهر رموز الفن الرافدي.

واليوم تقف نماذج منها في متاحف عالمية، شاهدة على قدرة الفنان الآشوري الذي استطاع أن يحول الحجر إلى رمز يحمل رسالة عبر آلاف السنين.

# كيف انهارت الإمبراطورية التي أرعبت العالم؟

على مدى أكثر من ثلاثة قرون، كانت آشور الاسم الذي ترتجف له الممالك. فمن جبال الأناضول شمالًا، إلى مصر جنوبًا، ومن جبال زاغروس شرقًا، حتى سواحل البحر المتوسط غربًا، رفرفت الرايات الآشورية فوق مدن لا تُحصى. لكن التاريخ يعلمنا أن كل قوة، مهما بلغت عظمتها، تمر بلحظة تبدأ فيها بالتراجع.

وبعد وفاة آشور بانيبال، لم تعد الإمبراطورية كما كانت.

لا يعرف المؤرخون تفاصيل السنوات الأخيرة من حياة آشور بانيبال بدقة، لكنهم يتفقون على أن وفاته تركت فراغًا كبيرًا في الدولة.

فقد جاء بعده ملوك لم يتمتعوا بالقوة نفسها، وبدأت الخلافات على العرش تزداد، وضعفت قبضة الحكومة على الولايات البعيدة.

ووجدت الشعوب التي كانت تخضع لآشور أن الفرصة قد حانت للتخلص من السيطرة الآشورية التي استمرت لعقود طويلة.

# بابل تستعيد أنفاسها

في الجنوب، بدأت بابل تستعيد قوتها بقيادة الملك نابوبلاصر، مؤسس الدولة البابلية الحديثة.

وكان نابوبلاصر يدرك أن مواجهة آشور وحده ستكون مغامرة خطيرة، لذلك بحث عن حليف قوي فوجد ضالته في الميديين، وهم شعب استقر في الهضبة الإيرانية، وكانوا قد ازدادوا قوة ونفوذًا خلال تلك الفترة وهكذا وُلد تحالف سيغير وجه الشرق الأدنى كله.

اتحد البابليون بقيادة نابوبلاصر مع الميديين بقيادة الملك كياكسار (هوخشترة)، وانضمت إليهم مجموعات أخرى كانت قد عانت من الحروب الآشورية. ولم يكن هدفهم السيطرة على مدينة واحدة، بل إسقاط الإمبراطورية الآشورية نفسها وكان هذا من أخطر التحالفات العسكرية في تاريخ المنطقة. في عام ٦١٤ ق.م.، توجه الميديون أولًا نحو مدينة آشور، العاصمة الدينية القديمة للإمبراطورية وبعد معارك عنيفة، تمكنوا من اقتحامها، وسقطت المدينة التي حملت اسم الدولة نفسها.

وكان سقوطها صدمة كبيرة للآشوريين، لأن معابدها كانت تُعد قلب المملكة الروحي، ومنها استمد الملوك شرعيتهم لكن الكارثة الكبرى لم تكن قد وقعت بعد.

# حصار نينوى النهاية التي لم يتوقعها أحد

بعد عامين، في ٦١٢ ق.م.، وصلت جيوش البابليين والميديين إلى أسوار نينوى، أعظم مدن العالم في ذلك الوقت.

**كانت المدينة محاطة بأسوار شاهقة، وأبراج دفاعية ضخمة، ومخازن تكفيها أشهرًا طويلة. وكان الآشوريون يعتقدون أن سقوطها مستحيل.**

**لكن الحصار استمر عدة أشهر، وتعرضت المدينة لهجمات متواصلة من جهات متعددة، حتى بدأت دفاعاتها تنهار تدريجيًا.**

**وتذكر بعض المصادر القديمة أن أمطارًا غزيرة أدت إلى فيضان جزء من نهر دجلة، أو أحد روافده، فأضعف قسمًا من الأسوار، مما سهّل على الجيوش المهاجمة اقتحام المدينة. ولا يزال الباحثون يناقشون مدى دقة هذه الرواية، لكنها بقيت واحدة من أشهر القصص المرتبطة بسقوط نينوى.**

**وفي النهاية، اقتحم الحلفاء المدينة، واندلعت الحرائق في القصور والمعابد، وسقطت نينوى بعد أن كانت عاصمة لأعظم إمبراطورية في زمانها.**

**هل انتهت آشور فعلًا؟**

**عندما سقطت نينوى سنة ٦١٢ ق.م، ظن كثير من الشعوب أن الإمبراطورية الآشورية انتهت إلى الأبد. لكن الحقيقة أن سقوط العاصمة لم يكن نهاية القصة. فقد انسحب ما تبقى من الجيش الآشوري مع بعض أفراد الأسرة الملكية إلى مدينة حرّان، الواقعة في جنوب تركيا الحالية، محاولين إعادة تنظيم صفوفهم واستعادة ما فقدوه.**

**ولم يستسلم الآشوريون بسهولة، بل واصلوا القتال عدة سنوات، مستعينين بحلفائهم، وعلى رأسهم مصر، التي كانت تخشى أن يؤدي سقوط آشور إلى ازدياد قوة بابل.**

# آخر محاولة لإنقاذ الإمبراطورية

**بعد سقوط نينوى، أعلن الملك آشور- أوباليط الثاني نفسه ملكًا على ما تبقى من الدولة الآشورية، واتخذ من حرّان مقرًا له.**

**كان يعلم أن استعادة الإمبراطورية القديمة أصبحت شبه مستحيلة، لكنه حاول على الأقل الحفاظ على ما تبقى من المملكة غير أن البابليين والميديين لم يمنحوه فرصة ففي عام ٦١٠ ق.م. سقطت حرّان أيضًا، واضطر الملك إلى الانسحاب مع قواته وفي العام التالي حاول، بمساعدة الجيش المصري، استعادة المدينة، لكن المحاولة فشلت.**

**ومنذ تلك اللحظة اختفت الإمبراطورية الآشورية من السجلات السياسية، بعد أن كانت تحكم مساحات شاسعة من العالم القديم.**

**لكن هل اختفى الآشوريون؟ الإجابة هي لا.**

**فالإمبراطورية سقطت، أما الشعب الآشوري فلم يختفِ.**

**فقد بقي كثير من الآشوريين يعيشون في مدنهم وقراهم، خاصة في شمال بلاد الرافدين، واستمروا في الزراعة، والتجارة، والحرف المختلفة، حتى بعد انتقال الحكم إلى البابليين ثم الفرس.**

**ومع مرور القرون، اعتنق معظمهم المسيحية، وأصبحوا من أوائل الشعوب التي نشرت المسيحية في بلاد الرافدين. كما حافظوا على لهجات مشتقة من اللغة الآرامية الشرقية، التي أصبحت لغة الحياة اليومية في المنطقة خلال الفترات اللاحقة.**

لم تكن الأكدية هي اللغة الوحيدة التي عرفتها بلاد الرافدين، فقد ظهرت لاحقًا لغة سامية أخرى كان لها تأثير كبير في المنطقة، وهي اللغة الآرامية.

بدأ انتشار الآرامية في الشرق الأدنى القديم، ومع توسع الآشوريين والبابليين والفرس أصبحت لغة تواصل واسعة بين الشعوب المختلفة، لأنها كانت سهلة الانتشار والاستعمال في التجارة والإدارة.

ومع مرور الزمن، أصبحت الآرامية لغة مهمة في مناطق واسعة من بلاد الرافدين وسوريا، واستُخدمت في المراسلات والوثائق، حتى إن بعض الإدارات الكبرى في الإمبراطوريات استخدمتها إلى جانب لغات أخرى.

كما ارتبطت الآرامية بتاريخ المسيحية المبكرة، لأنها كانت من اللغات التي تحدث بها سكان مناطق كثيرة في بلاد الشام وبلاد الرافدين.

ولهذا فإن تاريخ لغات بلاد الرافدين لا يقتصر على الآشورية والأكدية فقط، بل هو سلسلة طويلة من اللغات التي تعاقبت وتفاعلت، وكل واحدة منها حملت جزءًا من ذاكرة هذه الأرض.

ولهذا ما زالت توجد حتى اليوم جماعات آشورية في العراق وسوريا وتركيا وإيران، إضافة إلى جاليات كبيرة في أوروبا وأستراليا والأمريكتين، تحافظ على جزء من تراثها ولغتها وتقاليدها.

معلومة مهمة:

عندما نتحدث عن "سقوط آشور"، فإننا نقصد سقوط الدولة والإمبراطورية، وليس اختفاء الشعب الآشوري. فالدول قد تنهار، لكن الشعوب كثيرًا ما تستمر عبر التاريخ.

# الآشوريون في العصر الحديث الهوية التي بقيت رغم المحن

لم ينتهِ تاريخ الآشوريين بسقوط إمبراطوريتهم، بل استمر وجودهم عبر القرون، وإن واجهوا حروبًا وتهجيرًا ومآسي تركت أثرًا عميقًا في تاريخهم.

وخلال أواخر العهد العثماني، ولا سيما في فترة المذابح والتهجير التي شهدتها المنطقة في بدايات القرن العشرين، تعرضت جماعات آشورية كثيرة للقتل والنزوح، كما حدث مع جماعات أخرى في المنطقة أشهرها فرمان الأرمن.

وفي خضم تلك الأحداث، اختارت بعض العائلات الآشورية اعتناق الإسلام، وكان ذلك في كثير من الحالات وسيلة للنجاة وحماية أفراد الأسرة من القتل أو التهجير، بينما اندمجت عائلات أخرى مع المجتمعات المحيطة بها، حتى أصبح بعضها مع مرور الزمن يُعرف بهويات جديدة، ومن بينها عائلات اندمجت في المجتمع الكردي، مع احتفاظ بعض أبنائها بذكريات أو روايات عن أصولهم الآشورية.

وتُروى روايات محلية عن عشائر يُقال إن جذورها آشورية، ثم اعتنق أفرادها الإسلام عبر الأجيال، إلا أن تفاصيل هذه الروايات تختلف من منطقة إلى أخرى، ولا يتفق المؤرخون على جميعها.

وتُظهر هذه الأحداث أن الهوية الآشورية ليست ديانة بحد ذاتها، بل هوية قومية وتاريخية؛ فقد كان الآشوريون عبر العصور ينتمون إلى ديانات مختلفة، إلا أن كثيرًا منهم حافظوا على شعورهم بانتمائهم إلى جذورهم التاريخية وثقافتهم، رغم كل ما مرّوا به من تغيرات.

# إرث حضارة لا يموت

رغم انهيار الإمبراطورية، لم تختفِ إنجازات الآشوريين.

فقد تركوا للعالم قصورًا مهيبة، ونقوشًا حجرية مذهلة، ونظامًا إداريًا متطورًا، وجيشًا أصبح نموذجًا للجيوش التي جاءت بعده.

كما حفظت مكتبة آشور بانيبال آلاف النصوص التي عرّفت العالم الحديث بأدب وعلوم وأساطير بلاد الرافدين، ولولاها لضاع جزء كبير من تاريخ الإنسانية.

ولا تزال الثيران المجنحة، والكتابات المسمارية، وآثار نينوى وكالح ودور شروكين، شاهدة على حضارة كانت يومًا من أعظم حضارات العالم.

ولهذا، فإن آشور لم تخلّد نفسها بقوة سيوفها فقط، بل أيضًا بما تركته من علم، وفن، وعمارة، وتراث ما زال يبهر الباحثين والزوار حتى اليوم.

وهكذا انتهت الإمبراطورية الآشورية، لكنها بدأت حياة جديدة في صفحات التاريخ، لتبقى واحدة من أكثر حضارات العالم تأثيرًا وإثارةً للإعجاب.

# أسرار لم تذكرها كتب التاريخ كثيرًا

بعد أن تعرفنا إلى ملوك آشور، وحروبها، ومدنها، وصعودها وسقوطها، يبقى جانب آخر لا يقل إثارة. فالحضارة الآشورية لم تكن مجرد جيوش وإمبراطوريات، بل كانت عالمًا مليئًا بالعادات الغريبة، والاعتقادات المدهشة، والإنجازات التي سبقت عصرها بقرون.

## اللاماسو أين توجد اليوم؟

**رغم مرور أكثر من ألفين وستمائة عام، ما زالت تماثيل اللاماسو تبهر العالم. فبعضها ما يزال في العراق، بينما نُقلت تماثيل أخرى خلال القرن التاسع عشر إلى متاحف عالمية مثل المتحف البريطاني في لندن ومتحف اللوفر في باريس، حيث يقف ملايين الزوار كل عام أمام هذه التماثيل العملاقة، متسائلين كيف استطاع الفنانون الآشوريون نحتها بهذه الدقة قبل أكثر من ألفي عام.**

**هل تعلم؟**

**يصل وزن بعض تماثيل اللاماسو إلى عشرات الأطنان، وقد نُحتت من كتلة حجر واحدة. وما يزال نقلها من المحاجر إلى القصور، في زمن لم تكن فيه الآلات الحديثة، من أعظم الألغاز الهندسية التي تثير إعجاب الباحثين حتى اليوم.**

## القوة النفسية قبل القوة العسكرية

**كان الملوك الآشوريون يدركون أن إخضاع مدينة بالقوة قد يستغرق أشهرًا، أما إخضاعها بالخوف فقد يستغرق أيامًا فقط.**

**ولهذا امتلأت النقوش الملكية بعبارات تصف العقوبات التي أُوقعت بالمتمردين، مثل قطع الرؤوس، أو عرضها على الأسوار، أو سبي الأسرى، أو ترحيل السكان.**

**ويرى كثير من المؤرخين أن هذه النقوش كانت أيضًا دعاية سياسية؛ فالملك كان يريد أن تصل أخباره إلى كل مدينة، فيدرك خصومه أن التمرد ستكون له عواقب وخيمة.**

**هل كانوا يعذبون الجميع؟ لا.**

فالحياة داخل المدن الآشورية كانت تسير بصورة طبيعية في أوقات السلم.

فقد مارس الناس الزراعة، والتجارة، والصناعة، وذهب الأطفال إلى المدارس، وعمل الكتبة في القصور والمعابد، وأقام الناس الاحتفالات الدينية والمناسبات الاجتماعية.

ولو كانت العقوبات تطبق على الجميع بهذه القسوة، لما استطاعت الإمبراطورية أن تستمر قرونًا طويلة.

ولهذا يميز الباحثون اليوم بين قسوة الجيش في الحروب، وبين الحياة المدنية داخل الدولة.

## أغرب العقوبات

الترحيل الجماعي، مصادرة الممتلكات، إذ تُصادر أراضي المتمردين وأموالهم وتُضم إلى ممتلكات الدولة.

دفع الجزية، حيث كانت المدن المهزومة تُلزم بتقديم الذهب والفضة والماشية والأخشاب وغيرها من الموارد، وأحيانًا إرسال الحرفيين المهرة للعمل في مشاريع الدولة.

أما العقوبات الجسدية القاسية التي اشتهرت بها النقوش، فقد ارتبطت غالبًا بالحروب والتمردات الكبرى، وكان الملوك يحرصون على تسجيلها لإظهار قوتهم وهيبتهم.

هل كانت آشور الوحيدة؟

قد يظن القارئ أن الآشوريين انفردوا بهذه الأساليب، لكن الحقيقة أن كثيرًا من الحضارات القديمة عرفت الإعدام، والسبي، والتمثيل بالأعداء، وإن اختلفت الأساليب من دولة إلى أخرى.

**والفرق أن الملوك الآشوريين كانوا أكثر صراحة في تسجيل ذلك على نقوشهم، بينما لم يترك غيرهم هذا القدر من التفاصيل.**

**ولهذا ارتبط اسم آشور بالقوة والرهبة أكثر من غيرها.**

**هل تعلم؟**

**عثر علماء الآثار على نقوش آشورية تُظهر الجنود وهم يبنون الجسور، ويحفرون القنوات، وينقلون الأشجار، إلى جانب مشاهد الحروب. وهذا يذكرنا بأن الجيش الآشوري لم يكن قوة قتالية فقط، بل كان يشارك أيضًا في تنفيذ المشروعات الكبرى التي أقامتها الدولة.**

## هل كان الآشوريون يؤمنون بالسحر؟

**بالنسبة للإنسان الآشوري، لم يكن العالم مقسومًا كما نفهمه اليوم بين "علم" و"دين" و"أسطورة"، بل كانت هذه الأمور متداخلة.**

**فالمرض، والكوارث، والهزائم العسكرية، والأحلام الغريبة، وحتى ظواهر السماء، كانت تحمل في نظرهم رسائل قد تكون مرتبطة بالآلهة أو بالقوى الخفية.**

**ولهذا لم يكن الملك يتخذ القرارات المهمة وحده، بل كان يستشير طبقة من الكهنة والعرافين الذين يفسرون العلامات التي يعتقدون أنها تصل من العالم الإلهي.**

## قراءة المستقبل من كبد الحيوان

**من أغرب الطقوس التي عرفها الآشوريون ما يسمى العرافة بالكبد. فقد كانوا يعتقدون أن الإله قد يرسل إشارات عن المستقبل من خلال شكل أعضاء الحيوان، وخاصة الكبد.**

**وقبل معركة مهمة أو قرار سياسي كبير، كان الكهنة يذبحون حيوانًا، غالبًا خروفًا، ثم يفحصون الكبد بعناية، وينظرون إلى شكله، وحجمه، والعلامات الموجودة عليه.**

**وكان لديهم ألواح طينية تحتوي على تعليمات وتفسيرات كثيرة، مثل:**

**إذا ظهرت علامة معينة فهذا نذير نصر.**

**وإذا ظهرت علامة أخرى فهذا تحذير من الخطر.**

**وقد عُثر على آلاف الألواح التي تتحدث عن هذا النوع من العرافة، مما يدل على أهميته في البلاط الملكي.**

## الأحلام رسائل من الآلهة

**كان الآشوريون يعطون الأحلام أهمية كبيرة.**

**فالحلم بالنسبة لهم لم يكن مجرد صورة يراها الإنسان أثناء النوم، بل قد يكون رسالة تحمل تحذيرًا أو بشارة. وكان الملوك يسجلون أحلامهم ويرسلونها إلى الكهنة لتفسيرها.**

**وفي بعض الأحيان كان الملك يؤجل حملة عسكرية أو يغير قرارًا سياسيًا بسبب حلم رآه أو بسبب تفسير الكهنة له.**

## التمائم وطرد الأرواح الشريرة

**كان الاعتقاد بوجود الأرواح الشريرة جزءًا من الحياة اليومية.**

**فإذا مرض شخص، أو تكرر سوء الحظ في بيت، أو حدوث مشاكل متتابعة، فقد يعتقدون أن سبب ذلك روح شريرة أو لعنة.**

**ولهذا كانوا يستخدمون تمائم صغيرة تحمل رموزًا دينية ونقوشًا وعبارات حماية وطقوسًا يقوم بها الكهنة لطرد الشر.**

**ومن أشهر الكائنات التي ظهرت في هذه الطقوس كائنات خيالية تمثل الحماية، مثل اللاماسو، التي لم تكن مجرد تماثيل للزينة، بل رموزًا لطرد القوى المؤذية.**

**هل تعلم؟**

**تحتوي مكتبة آشور بانيبال على ألواح كثيرة عن الأحلام، والعلامات السماوية، والطقوس، مما يكشف أن الملك لم يكن مهتمًا بالحروب فقط، بل كان يريد جمع كل معرفة عصره، سواء كانت أدبية أو علمية أو دينية.**

## النساء في آشور بين القصر والسوق والبيت

**عندما نقرأ عن الإمبراطوريات القديمة، غالبًا ما نسمع أسماء الملوك والقادة، وكأن النساء لم يكن لهن وجود في التاريخ.**

**لكن الألواح الطينية الآشورية تكشف صورة أكثر تعقيدًا؛ فقد كانت المرأة الآشورية جزءًا مهمًا من المجتمع، ولها أدوار متعددة داخل الأسرة والاقتصاد وحتى في البلاط الملكي.**

**لم تكن حياتها مثل حياة المرأة في عصرنا، وكانت تختلف كثيرًا حسب مكانتها الاجتماعية، لكن الوثائق تظهر أنها لم تكن شخصية غائبة أو بلا حقوق.**

# الملكات نساء خلف العرش

**كانت ملكة آشور تُعرف بلقب "إيشّارَتو"، وكانت تمتلك مكانة مهمة داخل القصر. لم تكن مجرد زوجة للملك، بل كان لها قصر خاص، وموظفون يخدمونها، وثروة خاصة، وأحيانًا كانت تدير أملاكًا وأعمالًا باسمها.**

**ومن أشهر الملكات الآشوريات:**

**شمورامات (سميراميس)**

**التي أصبحت وصية على العرش بعد وفاة زوجها، وأدارت شؤون الدولة خلال طفولة ابنها.**

**نقيّة (زَكّوتو)**

**زوجة الملك سنحاريب ووالدة أسرحدون، وكانت من أقوى النساء في البلاط الآشوري. لعبت دورًا سياسيًا مهمًا، وساهمت في ضمان وصول ابنها إلى العرش.**

**كانت زاكوتو من أبرز النساء في التاريخ الآشوري.**

**لم تكن ملكة بالمعنى التقليدي، لكنها امتلكت نفوذًا سياسيًا كبيرًا، خصوصًا في عهد حفيدها الملك آشور بانيبال.**

**استطاعت أن تؤثر في شؤون الحكم، وأن تلعب دورًا في انتقال السلطة، بل إن اسمها ظهر في وثائق رسمية.**

**وقصتها تثبت أن بعض النساء في آشور لم يكنّ بعيدات عن السياسة، رغم أن المجتمع كان يحكمه الملوك الرجال.**

**هل كانت المرأة تملك المال؟ نعم.**

**تُظهر الوثائق الآشورية أن بعض النساء امتلكن الأراضي والبيوت والعبيد والأموال والممتلكات التجارية.**

**وكان بإمكان المرأة أن تبيع وتشتري، وأن تقدم القروض، وأن تُبرم بعض العقود. وقد عثر علماء الآثار على ألواح طينية تحمل عقودًا تجارية ووصايا تحمل أسماء نساء.**

**لم تكن التجارة حكرًا على الرجال. فبعض النساء عملن في بيع وشراء المنتجات، وإدارة الأعمال، خاصة في المدن الكبيرة.**

**وكانت المدن الآشورية مراكز تجارية نشطة، فكان من الطبيعي أن تشارك النساء في الاقتصاد بدرجات مختلفة.**

**كان الزواج في المجتمع الآشوري اتفاقًا له جوانب اجتماعية واقتصادية.**

**وكانت هناك عقود زواج تُكتب على ألواح طينية، تحدد حقوق الزوجة والالتزامات بين الطرفين.**

**وفي بعض الحالات، كان للمرأة حق الاحتفاظ بممتلكاتها التي جاءت بها من عائلتها.**

**كما تظهر بعض الوثائق وجود حالات نزاع بين الأزواج وصلت إلى القضاء، مما يدل على وجود نظام قانوني ينظم العلاقات الأسرية.**

**هل كان للمرأة حق الطلاق؟**

**كانت القوانين الآشورية تعطي الرجل سلطة أكبر في الزواج، لكن بعض الوثائق تشير إلى وجود حالات تمكنت فيها المرأة من طلب الانفصال أو المطالبة بحقوق مالية في ظروف معينة. وكانت القوانين تختلف حسب العصر والطبقة الاجتماعية. لم تكن كل النساء يعشن الحياة نفسها.**

**فالمرأة من الأسرة الملكية أو الغنية كانت تعيش داخل القصور والبيوت الكبيرة، ولديها خدم ومكانة اجتماعية.**

**أما المرأة الفقيرة فكانت تشارك في أعمال الحياة اليومية مثل الزراعة وصناعة النسيج وإعداد الطعام وتربية الأطفال. لكن وجودها في الوثائق يؤكد أنها كانت جزءًا أساسيًا من المجتمع والاقتصاد.**

**حقيقة مدهشة**

**في بعض الألواح الآشورية، نجد رسائل كتبتها نساء إلى أزواجهن أو المسؤولين، تتحدث عن أمور الحياة اليومية، مثل المال، والتجارة، والمشاكل العائلية.**

**وهذه الرسائل تجعلنا نشعر أن أصوات النساء الآشوريات لم تختفِ تمامًا، بل بقيت محفوظة على الطين منذ آلاف السنين.**

**هل تعلم؟**

**كانت صناعة النسيج من أهم الصناعات في بلاد آشور، وكانت النساء يشكلن جزءًا كبيرًا من هذا العمل، حتى إن بعض القصور كانت تحتوي على ورش كبيرة لإنتاج الأقمشة التي تُستخدم في الداخل وتُصدّر إلى مناطق أخرى.**

## طب الآشوريين عندما حاول الإنسان القديم فهم المرض والشفاء

**عندما كان الإنسان الآشوري يمرض، لم يكن ينظر إلى المرض بطريقة واحدة فقط. فقد كان يعتقد أن بعض الأمراض لها أسباب طبيعية، بينما قد تكون أمراض أخرى مرتبطة بغضب الآلهة أو تأثير الأرواح الشريرة.**

**ولهذا جمع الطب الآشوري بين الملاحظة والخبرة الطبية وبين المعتقدات الدينية فكان هناك نوعان من المتخصصين:**

**الأطباء (آسو Ašû): وهم الذين عالجوا الأمراض باستخدام الأعشاب، والمراهم، والطرق العملية.**

**الكهنة العرّافون (آشِبّو Āšipu): وكان دورهم مرتبطًا بتشخيص الجانب الروحي للمرض، وإقامة الطقوس الوقائية.**

**وفي كثير من الأحيان كان الملك يستعين بكليهما معًا.**

**لم يكن للملوك طبيب واحد فقط، بل كان في القصر الملكي أطباء متخصصون. وكانت صحتهم أمرًا مهمًا جدًا، لأن مرض الملك لم يكن شأنًا شخصيًا فقط، بل كان يُنظر إليه على أنه قد يؤثر على استقرار الدولة.**

**وقد عُثر على رسائل من أطباء آشوريين إلى الملوك، يصفون فيها حالة المريض، والأدوية المستخدمة، ونصائحهم للعلاج.**

**وهذه الرسائل تعطينا صورة مدهشة عن اهتمامهم بالملاحظة الطبية.**

**اعتمد الآشوريون على مواد كثيرة من البيئة المحيطة بهم، مثل:**

**النباتات والأعشاب والزيوت والعسل والمعادن والدهون الحيوانية.**

**وكانوا يصنعون منها مراهم وشرابات وكمادات.**

**ومن النباتات التي استخدموها نباتات لها فوائد طبية معروفة حتى اليوم، مثل بعض الأعشاب العطرية والنباتات المرة التي استخدمت لعلاج مشاكل الهضم أو الالتهابات.**

**هل عرفوا الجراحة؟ نعم، عرفوا بعض أشكال العلاج الجراحي البسيط.**

**فقد استخدموا أدوات معدنية للعلاج، وعالجوا بعض الإصابات الناتجة عن الحروب والعمل. وكانت الجروح من أكثر المشاكل شيوعًا بسبب كثرة الحروب، لذلك احتاج الجيش الآشوري إلى خبراء يعالجون إصابات الجنود.**

**لكن بالطبع كانت إمكانياتهم محدودة مقارنة بالطب الحديث، وكانت نسبة نجاح العمليات تعتمد على نوع الإصابة وخبرة المعالج.**

**من الأمور المثيرة للاهتمام أن بعض النصوص الطبية الآشورية وصفت أعراضًا محددة، مثل: آلام الرأس الحمى مشاكل المعدة أمراض الجلد مشاكل العين. وكان الطبيب يلاحظ العلامات الظاهرة ثم يقرر العلاج المناسب. وهذا يدل على بداية تطور التفكير الطبي القائم على الملاحظة والتجربة.**

**رغم معرفتهم بالعلاج، بقي الاعتقاد بالقوى الخفية حاضرًا. فإذا لم يجدوا تفسيرًا للمرض، قد يلجؤون إلى طقوس الحماية أو التعاويذ.**

**ومن وجهة نظرنا اليوم قد تبدو هذه الأمور غريبة، لكنها كانت جزءًا من طريقة الإنسان القديم في محاولة فهم عالم لم تكن علومه قد اكتملت بعد.**

**هل تعلم؟**

**من أغنى ما وصل إلينا من الطب القديم ألواح عُثر عليها في مكتبة آشور بانيبال، تحتوي على وصفات وعلاجات وتعليمات طبية. وهي دليل على أن الآشوريين كانوا يجمعون المعرفة ويحافظون عليها، تمامًا كما جمعوا النصوص الأدبية والفلكية.**

# الكسوف والخسوف علامات في نظرهم

كان الآشوريون يعرفون أن الكسوف والخسوف ظواهر تحدث في السماء، لكنهم لم يفسروها بالطريقة العلمية الحديثة.

فقد كانوا يعتقدون أحيانًا أنها إشارات تحمل رسائل من الآلهة، خصوصًا إذا حدثت في وقت مهم.

وكان كسوف القمر أو الشمس قد يسبب القلق في القصر، لأن بعض الكهنة كانوا يربطونه بالخطر الذي قد يصيب الملك أو الدولة.

ولهذا ظهرت طقوس تُسمى أحيانًا طقوس الملك البديل، حيث يُنصّب شخص آخر لفترة قصيرة كملك رمزي إذا اعتُقد أن هناك خطرًا على الملك الحقيقي، حتى تنتقل النبوءة السيئة إليه بدلًا من الملك. وبعد انتهاء الفترة المحددة، يعود الملك الحقيقي إلى عرشه.

تابع الآشوريون حركة الكواكب التي كانوا يعرفونها، مثل الزهرة المشتري زحل عطارد المريخ. وكانوا يربطون حركاتها بالأحداث السياسية والطقوس الدينية. لكن المدهش أنهم لم يكتفوا بالتخمين، بل سجلوا ملاحظاتهم بدقة كبيرة وهذه السجلات أصبحت لاحقًا مصدرًا مهمًا لدراسة تاريخ الفلك القديم.

# معرفة الزمن والتقويم

ساعدتهم مراقبة القمر على تنظيم حياتهم.

فقد اعتمدوا على الأشهر القمرية، وكانوا يعرفون مواسم الزراعة والحصاد، ومواعيد الاحتفالات الدينية، وتنظيم الضرائب والأعمال.

وكان الكتبة مسؤولين عن حفظ هذه الحسابات على ألواح طينية.

**هل تعلم؟**

**من أشهر مجموعات الألواح الفلكية التي وصلت إلينا سلسلة تُعرف باسم "مول أبين"، وهي مجموعة نصوص عن النجوم والكواكب وحركة السماء، ورغم أنها ترتبط بالتراث البابلي، فإنها تمثل استمرارًا للمعرفة الفلكية في بلاد الرافدين التي استفاد منها الآشوريون أيضًا.**

**اكتشافات أعادت آشور إلى الحياة عندما تحدث الطين بعد آلاف السنين**

**لآلاف السنين، بقيت مدن آشور الكبرى مدفونة تحت الرمال والتراب، وظن العالم أن قصتها انتهت مع سقوط نينوى.**

**لكن في القرن التاسع عشر، بدأ علماء الآثار رحلة مذهلة لاكتشاف هذه الحضارة من جديد، وكانت المفاجأة أن الآشوريين تركوا خلفهم كنزًا لا يقدر بثمن الكتابة.**

**فلم تكن قصورهم مجرد حجارة صامتة، بل كانت تحمل آلاف الرسائل والسجلات والنقوش التي جعلت الماضي يتحدث. حيث أن مكتبة آشور بانيبال كنز خرج من الأنقاض**

**من أعظم الاكتشافات في تاريخ بلاد الرافدين العثور على مكتبة الملك آشور بانيبال في مدينة نينوى.**

**لقد كانت هذه المكتبة أشبه برسالة تركها الآشوريون للإنسانية تقول:**

**"نحن لم نكن فقط ملوك حرب، بل كنا شعبًا يحب المعرفة ويحفظها."**

# أغرب اكتشاف لحظة قراءة لغة منسية

ربما كان أعظم انتصار لعلماء الآثار ليس العثور على الألواح فقط، بل القدرة على قراءتها. فالخط المسماري كان قد أصبح لغة منسية لقرون طويلة، حتى تمكن الباحثون في القرن التاسع عشر من فك رموزه.

وعندما بدأوا قراءة الألواح، اكتشفوا أن أمامهم عالمًا كاملًا كان مختبئًا تحت التراب. فالأحجار لم تعد مجرد آثار، بل أصبحت قصصًا عن ملوك وشعوب وأفكار وحياة يومية.

هل تعلم؟ بعض الألواح الطينية التي عُثر عليها في نينوى تحمل آثار أصابع الكتبة الذين صنعوها قبل أكثر من ألفين وخمسمائة عام، وكأن يد الإنسان القديم بقيت موجودة لتثبت أنه كان هنا ذات يوم.

كانت آشور حضارة مليئة بالتناقضات؛ فهي إمبراطورية عُرفت بالقوة والحروب، لكنها أيضًا حفظت الشعر والطب والفلك والمعرفة.

بنت قصورًا ضخمة، لكنها تركت وراءها ألواحًا صغيرة تحمل أفكار البشر اليومية. أرعبت أعداءها، لكنها أنقذت تراث الإنسانية في مكتبة آشور بانيبال. وربما أجمل ما تركه الآشوريون ليس فقط ما بنوه بالحجر، بل ما حفظوه بالطين. فالحجر قد يسقط، والقصور قد تنهار، لكن الكلمة المكتوبة تستطيع أن تعبر آلاف السنين.

لماذا كانوا يدفنون التماثيل تحت القصور؟

لم تكن كل الأشياء المدفونة تحت الأبنية مجرد مخلفات، فبعض الآشوريين كانوا يضعون تماثيل أو ألواحًا ونقوشًا تحت أساسات القصور والمعابد.

كان الهدف طلب الحماية من الآلهة وتثبيت اسم الملك عبر الزمن وجعل البناء تحت رعاية القوى المقدسة وكانوا يؤمنون أن وضع هذه الأشياء في أساس المبنى يمنحه القوة والاستمرار.

ولهذا عندما اكتشف علماء الآثار هذه الأشياء تحت القصور، وجدوا معلومات ثمينة عن الملوك والطقوس والمعتقدات.

اكتشف العلماء أن القصور الآشورية لم تكن أماكن للحكم فقط، بل كانت مراكز للمعرفة.

## المعابد الكبرى وطقوس آشور المقدسة

كانت المعابد قلب الحياة الدينية عند الآشوريين. وكان أهم مركز ديني مرتبطًا بالإله آشور في مدينة آشور القديمة.

كانت الطقوس تشمل تقديم القرابين وتلاوة الأدعية ومشاركة الكهنة في الاحتفالات وطقوس مرتبطة بالملك والإله.

وكان الآشوريون يرون أن نجاح المملكة مرتبط برضا الآلهة، لذلك كان الدين حاضرًا في السياسة والحرب والحياة اليومية.

لقد أراد الملوك الآشوريون أن تبقى أسماؤهم محفورة في الحجر، ولم يعلموا أن أعظم ما سيخلدهم هو شيء آخر المعرفة التي حفظوها.

فبعد آلاف السنين، عندما فتح العلماء الألواح الطينية، لم يجدوا فقط أخبار الحروب، بل وجدوا أصوات بشر عاشوا قبلنا؛ أناسًا أحبوا، وخافوا، وعملوا، وحلموا.

وهكذا تعلّمنا من آشور أن الإمبراطوريات قد تسقط، لكن الحضارات التي تترك علمًا وفنًا وفكرًا لا تختفي.

# ماذا كانت ديانة الآشوريين قبل الميلاد؟

**الآشوريون في زمن الإمبراطورية الآشورية (قبل الميلاد) كانوا وثنيين بمعنى أنهم كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة، مثل باقي حضارات بلاد الرافدين.**

**كان رأس آلهتهم هو الإله آشور وهو الإله القومي للآشوريين، ومن اسمه جاءت تسمية مدينة آشور الشعب الآشوري الإمبراطورية الآشورية وكانوا يؤمنون بآلهة أخرى من تراث بلاد الرافدين، مثل:**

**عشتار: إلهة الحب والحرب والخصوبة.**

**شمش: إله الشمس والعدل.**

**سين: إله القمر.**

**إنليل: من الآلهة الكبرى في بلاد الرافدين.**

**مردوخ: كان إلهًا مهمًا خاصة عند البابليين.**

**وكان الملك الآشوري يعتبر نفسه مختارًا من الإله آشور، وأن انتصاراته العسكرية لها علاقة برضا الآلهة.**

# كيف دخلت المسيحية إلى الآشوريين؟

**سقطت الإمبراطورية الآشورية سنة ٦١٢ ق.م.، وبعدها مرت بلاد الرافدين بمراحل حكم مختلفة البابليون والفرس الأخمينيون بقيادة قورش الكبير واليونان الإسكندر الأكبر والسلوقين الفرثيون (شعب فارسي أيضاً) والفرس الساسانيون ثم ظهر المسيح في القرن الأول الميلادي.**

**بعد انتشار المسيحية، وصلت إلى بلاد الرافدين مبكرًا جدًا، وتقول التقاليد المسيحية الشرقية إن بعض تلاميذ المسيح وتلاميذهم نشروا المسيحية في مناطق العراق وسوريا الحالية.**

**وخلال القرون الأولى للميلاد، اعتنق كثير من سكان بلاد الرافدين المسيحية، ومن ضمنهم جماعات من الآشوريين.**

**يعني التحول لم يحدث فجأة، بل خلال عدة قرون.**

**هل كل الآشوريين اليوم مسيحيون؟**

**لا يمكن القول إن كل شخص يُسمى آشوريًا اليوم له نفس المعتقد، لكن تاريخيًا ارتبطت الهوية الآشورية الحديثة بدرجة كبيرة بالمسيحية الشرقية.**

**توجد كنائس مرتبطة بالتراث الآشوري، مثل:**

**كنيسة المشرق الآشورية.**

**الكنيسة الكلدانية.**

**الكنيسة السريانية الشرقية.**

**لكن هناك أيضًا اختلافات في الهوية والانتماء بين أبناء هذه الجماعات، فالموضوع فيه جوانب تاريخية وثقافية ودينية متداخلة.**

**وصول المسيحية إلى بلاد الرافدين**

**ظهرت المسيحية في القرن الأول الميلادي، وانتشرت تدريجيًا خارج فلسطين إلى مناطق مختلفة من الشرق.**

**ووصلت المسيحية إلى بلاد الرافدين في وقت مبكر، وانتشرت بين جماعات عديدة من سكان المنطقة، ومن بينهم جماعات آشورية.**

**وخلال القرون الأولى للميلاد، أصبحت المسيحية جزءًا أساسيًا من حياة كثير من أبناء المنطقة، وظهرت مدارس دينية ومراكز للعلم والترجمة.**

**ولم تكن هذه المرحلة مجرد تحول ديني، بل كانت أيضًا مرحلة ثقافية مهمة، حيث لعب مسيحيو بلاد الرافدين دورًا كبيرًا في نقل العلوم والفلسفة والترجمة بين الحضارات.**

**هل تغير الدين يعني تغير الأصل؟**

**هنا تظهر نقطة مهمة الديانة شيء، والهوية التاريخية شيء آخر.**

**فالآشوريون القدماء كانت لهم ديانة خاصة مرتبطة بآلهة بلاد الرافدين القديمة، ثم اعتنق كثير من الآشوريين المسيحية بعد قرون.**

**وهذا يشبه ما حدث لشعوب كثيرة عبر التاريخ؛ فقد تتغير الأديان واللغات والأنظمة السياسية، بينما تبقى بعض عناصر الهوية والثقافة مستمرة.**

## الآشوريون اليوم

**اليوم توجد جماعات آشورية في مناطق من العراق وسوريا وتركيا وإيران، وكذلك في بلدان عديدة حول العالم.**

**ويحافظ كثير منهم على جوانب من تراثهم، مثل:**

**اللغة والتراث الآرامي الشرقي الأسماء والعادات.**

**ربما تكون أعظم قصة في تاريخ آشور ليست فقط قصة الملوك الذين حكموا والجيوش التي انتصرت، بل قصة شعب مرّ بتغيرات هائلة، لكنه بقي حاضرًا في ذاكرة التاريخ.**

**فالإمبراطوريات قد تسقط، والقصور قد تتحول إلى أطلال، لكن اللغة والقصص والتراث قادرة على عبور آلاف السنين.**

**ومن هنا نفهم أن التاريخ ليس فقط ما تركه الملوك خلفهم، بل ما حمله الناس معهم عبر الزمن.**

**الآشوريون اليوم أين يعيش أحفاد آشور؟**

**رغم سقوط الإمبراطورية الآشورية قبل أكثر من ألفي عام، بقيت جماعات آشورية تعيش في مناطق قريبة من موطنها التاريخي في بلاد الرافدين، ثم انتشرت لاحقًا في بلدان أخرى حول العالم.**

**في العراق، يتركز وجود الآشوريين بشكل خاص في شمال البلاد، في مناطق من سهل نينوى ومحافظة نينوى، إضافة إلى مناطق في إقليم كردستان، خاصة في محافظات دهوك وأربيل، حيث توجد بلدات وقرى آشورية قديمة حافظت على جانب من اللغة والتراث والعادات.**

**وفي سوريا، يوجد الآشوريون خصوصًا في منطقة الجزيرة السورية، وبشكل أكبر في محافظة الحسكة، وخاصة في مناطق مثل تل تمر وما حولها، إضافة إلى وجود تاريخي في مدن وبلدات أخرى في شمال شرق سوريا. وقد ارتبط وجودهم هناك بالهجرة والاستقرار خلال القرن العشرين، خاصة بعد أحداث واضطرابات أصابت مناطقهم التاريخية.**

**أما في تركيا، فما زالت توجد جماعات آشورية صغيرة في منطقة طور عابدين جنوب شرق البلاد، وهي منطقة قديمة ارتبطت تاريخيًا بالمسيحية السريانية والآشورية، وتضم أديرة وقرى تحمل تراثًا يعود لقرون طويلة.**

**كما توجد جاليات آشورية كبيرة اليوم خارج الشرق الأوسط، في دول مثل الولايات المتحدة، أستراليا، السويد، وألمانيا، حيث حافظ كثير منهم على لغتهم واحتفالاتهم وتراثهم الثقافي.**

**إن انتشار الآشوريين اليوم في أماكن متعددة لا يعني انقطاع صلتهم بأرضهم التاريخية، فذاكرة آشور القديمة ما زالت حاضرة في لغتهم وتراثهم وقصصهم التي انتقلت من جيل إلى آخر.**

# الفصل الثاني

## من هم الكلدان؟

عندما يسمع معظم الناس اسم الكلدان، يظن أنه اسم آخر للبابليين، لكن الحقيقة أكثر تعقيدًا. فالكلدان كانوا شعبًا ساميًا استقر في جنوب بلاد الرافدين، خاصة في المناطق القريبة من الأهوار والخليج العربي. عاشوا في البداية ضمن قبائل متعددة، ثم ازداد نفوذهم تدريجيًا حتى تمكنوا من الوصول إلى عرش بابل.

الأهوار هي مناطق واسعة تغطيها المياه الضحلة والقصب والبردي، تتكون من مستنقعات وبحيرات طبيعية تتغذى من نهري دجلة والفرات.

بمعنى أبسط، هي أراضٍ يغمرها الماء معظم أوقات السنة، وتنمو فيها نباتات القصب والبردي بكثرة.

وفي بلاد الرافدين، كانت الأهوار تقع بشكل رئيسي في جنوب العراق، وكانت بيئة مهمة عاش فيها الناس، وصادوا الأسماك، وربوا الجاموس، واستفادوا من القصب في بناء بيوتهم وصناعة القوارب

لم يظهر الكلدانيون فجأة كقوة عظمى، بل مروا بقرون من الصراع مع القوى المسيطرة في المنطقة، ولا سيما الآشوريين. وخلال تلك الفترة، حاول عدد من زعمائهم السيطرة على بابل، لكن محاولاتهم كانت تنتهي غالبًا بتدخل الجيش الآشوري.

تغير كل شيء في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، عندما ظهر قائد كلداني طموح هو نابوبلاصر. استطاع أن يوحد القبائل الكلدانية وبعض القوى البابلية، ثم تحالف مع الميديين، وبدأ حربًا طويلة انتهت بسقوط

**الإمبراطورية الآشورية، لتولد من جديد دولة قوية عُرفت في التاريخ باسم الإمبراطورية البابلية الحديثة أو الدولة الكلدانية.**

**ومنذ تلك اللحظة، دخلت بابل عصرها الذهبي الأخير، وهو العصر الذي ارتبط بأسماء عظيمة مثل نبوخذ نصر الثاني، وبمعالم شهيرة مثل بوابة عشتار والجنائن المعلقة، وبإنجازات كبيرة في العمارة والفلك والإدارة.**

## كيف وصل الكلدانيون إلى عرش بابل؟

**لم يكن وصول الكلدانيين إلى الحكم مصادفة، بل جاء بعد سنوات طويلة من الحروب والاضطرابات. ففي أواخر القرن السابع قبل الميلاد كانت الإمبراطورية الآشورية، التي حكمت معظم الشرق الأدنى لقرون، قد بدأت تضعف بسبب الحروب المستمرة والثورات في الأقاليم.**

**في تلك الفترة برز قائد كلداني يُدعى نابوبلاصر، وكان يتمتع بذكاء سياسي وعسكري. أدرك أن مواجهة آشور وحده ستكون شبه مستحيلة، لذلك عقد تحالفًا مع الميديين، الذين كانوا هم أيضًا يسعون إلى إنهاء السيطرة الآشورية.**

**بدأ الحلفاء بمهاجمة المدن الآشورية واحدة تلو الأخرى، حتى جاءت الضربة الكبرى عام ٦١٢ ق.م. عندما سقطت مدينة نينوى، عاصمة الإمبراطورية الآشورية، بعد حصار عنيف. وكان سقوطها حدثًا غيّر تاريخ الشرق الأدنى كله، إذ انتهت بذلك واحدة من أقوى الإمبراطوريات في التاريخ.**

**لكن نابوبلاصر لم يكتفِ بإسقاط آشور، بل أعاد بناء قوة بابل، وعمل على توحيد البلاد وإصلاح إدارتها وجيشها. وعندما توفي، ورث ابنه نبوخذ**

**نصر الثاني دولة قوية ومستقرة، ليبدأ عصر يُعد من أكثر عصور بابل ازدهارًا وشهرة.**

**خلف أويل مردوخ والده نبوخذ نصر الثاني في الحكم.**

**ورغم أن فترة حكمه كانت قصيرة، فإنه حاول الحفاظ على استقرار الدولة.**

**ومن أشهر ما يُذكر عنه أنه أطلق سراح ملك يهوذا يهوياكين من أَسره، وهو حدث ورد في بعض المصادر التاريخية القديمة. لكن حكمه انتهى سريعًا بعد صراعات داخلية.**

**تولى نرجل شَرَصَّر الحكم بعد أويل مردوخ.**

**كان قائدًا عسكريًا ذا خبرة، وسعى إلى الحفاظ على قوة الدولة واستقرارها. اهتم بتحصين المدن ومتابعة شؤون الإمبراطورية، إلا أن فترة حكمه لم تكن طويلة.**

**تولى لاباشي مردوخ الحكم وهو في سن صغيرة. لكن حكمه لم يستمر إلا أشهرًا قليلة، بسبب الاضطرابات السياسية داخل الدولة. ولذلك لم تُسجل له إنجازات كبيرة.**

**نبونيد آخر ملوك الدولة الكلدانية**

**اهتم بالمعابد والآثار القديمة، وأظهر اهتمامًا خاصًا بتاريخ الملوك السابقين. كما قام بحملات في مناطق الجزيرة العربية، وأقام فترة في مدينة تيماء. لكن غيابه الطويل عن بابل أثار استياء بعض السكان والنخب، وأضعف تماسك الدولة. وفي عهده ظهرت الإمبراطورية الفارسية بقيادة قورش الكبير، الذي تمكن من دخول بابل عام ٥٣٩ قبل الميلاد، لتنتهي بذلك الدولة الكلدانية**

# أصل التسمية

**اختلف المؤرخون في أصل اسم الكلدان، لكن أغلب الدراسات ترى أن الاسم ظهر في النصوص الآشورية بصيغة «كلدو» (Kaldu) أو «كلدي»، وكان يُطلق على القبائل التي استوطنت جنوب بلاد الرافدين، خاصة المنطقة الواقعة عند مصب نهري دجلة والفرات والأراضي القريبة من الخليج العربي.**

**ولا يوجد حتى اليوم اتفاق قاطع على المعنى الأصلي لكلمة «كلدان»، فقد طُرحت عدة آراء، منها أنها اسم قبيلة أو مجموعة قبائل استقر أفرادها في تلك المنطقة، ثم أصبح الاسم يطلق على جميع القبائل المتحالفة معها.**
**ويرى باحثون آخرون أن الاسم ارتبط بالإقليم الذي سكنوه أكثر من ارتباطه بمعنى لغوي محدد.**

**ومع مرور الزمن، اكتسب اسم الكلدان شهرة واسعة في العالم القديم، حتى إن بعض المؤلفين اليونانيين استخدموا كلمة «كلداني» للإشارة إلى علماء الفلك والمنجمين البابليين، بسبب ما عُرف به الكلدانيون من اهتمام برصد النجوم وحركة الكواكب. إلا أن هذا الاستخدام جاء في فترة متأخرة، ولا يعني أن كل كلداني كان عالم فلك أو منجمًا.**

**معلومة تاريخية:**

**أقدم الإشارات المؤكدة إلى الكلدانيين ظهرت في السجلات الآشورية في القرن التاسع قبل الميلاد، حيث ذكرتهم بوصفهم قبائل تقطن جنوب بلاد الرافدين، قبل أن يصبح لهم دور سياسي بارز في تاريخ المنطقة.**

# موطن الكلدانيين

**استقر الكلدانيون في أقصى جنوب بلاد الرافدين، في المنطقة الممتدة بين الفروع السفلى لنهري دجلة والفرات، وصولًا إلى سواحل الخليج العربي. وقد تميزت هذه المنطقة بكثرة الأنهار والقنوات والمستنقعات والأهوار، مما وفر بيئة غنية بالمياه والأسماك والقصب، وساعد السكان على ممارسة الزراعة والرعي وصيد الأسماك.**

**ولم يكن الكلدانيون يعيشون في مدينة واحدة، بل توزعوا على عدد من القبائل التي استقرت في مدن وبلدات مختلفة. ومن أشهر المناطق التي ارتبطت بهم بيت ياقين وبيت دكوري وبيت أموكاني وبيت شعلي، وكانت كل منطقة تخضع لزعيمها، مع وجود روابط تجمعها عند مواجهة الأخطار الخارجية.**

**وقد منحهم موقعهم الجغرافي أهمية كبيرة، إذ كانوا يسيطرون على الطرق المؤدية إلى الخليج العربي، وهو ما جعلهم على اتصال بالتجار القادمين من مناطق بعيدة، وأسهم في ازدهار تجارتهم وتبادلهم الثقافي مع الشعوب المجاورة.**

**ورغم أن بيئتهم كانت تختلف عن شمال بلاد الرافدين، فإنهم اندمجوا تدريجيًا مع سكان بابل، وتأثروا بالحضارة البابلية ولغتها وديانتها، حتى أصبح من الصعب في العصور اللاحقة التمييز بين البابلي والكلداني في كثير من جوانب الحياة اليومية.**

**هل تعلم؟**

لم تكن كلمة «بيت» تعني منزلًا، بل كانت تعني «عشيرة» أو «سلالة» أو «قبيلة». لذلك فإن اسم بيت ياقين يعني قبيلة ياقين، وبيت دكوري يعني قبيلة دكوري، وهو أسلوب في التسمية كان شائعًا في بلاد الرافدين.

## القبائل الكلدانية ونظامها الاجتماعي

لم يشكّل الكلدانيون في بداياتهم دولةً موحدة، بل عاشوا في صورة قبائل مستقلة، لكل قبيلة زعيمها وأرضها وأتباعها. وكانت هذه القبائل تتعاون أحيانًا فيما بينها، لكنها قد تتنافس أيضًا على النفوذ والموارد، وهو أمر كان شائعًا بين شعوب الشرق الأدنى القديم.

وكان زعيم القبيلة يتمتع بمكانة كبيرة، إذ كان مسؤولًا عن حماية أفرادها، وقيادة رجالها في أوقات الحرب، وحل النزاعات الداخلية، وتمثيل القبيلة في التحالفات مع القبائل الأخرى. ولم تكن سلطته تقوم على القوة وحدها، بل على قدرته في كسب ولاء أفراد قبيلته وإدارة شؤونهم.

اعتمد المجتمع الكلداني على الروابط العائلية والقبلية، وكانت الأسرة تمثل أساس المجتمع. وكان أفراد القبيلة يشعرون بالانتماء إلى أصل مشترك، مما عزز روح التضامن بينهم، خاصة في أوقات الحروب أو الكوارث.

وعلى الرغم من طابعهم القبلي، لم يكن الكلدانيون معزولين عن الحضارة التي أحاطت بهم، فقد أقاموا علاقات تجارية مع المدن البابلية، وتأثروا بعاداتها ولغتها ونظامها الإداري. ومع مرور الزمن، أصبح كثير من زعمائهم يشاركون في الحياة السياسية في بابل، بل وصل بعضهم إلى اعتلاء عرشها.

وكانت القبائل الكلدانية تمتلك مقاتلين مهرة اعتادوا القتال في البيئات المائية والأراضي الوعرة في جنوب بلاد الرافدين، وهو ما منحهم خبرة

**عسكرية مختلفة عن جيوش المدن الكبرى، وساعدهم لاحقًا في لعب دور مهم في الأحداث السياسية.**

**حقيقة تاريخية**

**لم يكن جميع الكلدانيين يعيشون بالطريقة نفسها؛ فبعضهم استقر في المدن والقرى ومارس الزراعة والتجارة، بينما حافظت قبائل أخرى على نمط حياة أكثر حركة، متنقلةً بين مناطق الرعي والمياه وفقًا للفصول والظروف.**

## الحياة اليومية عند الكلدانيين

**لم تكن حياة الكلدانيين تختلف كثيرًا عن حياة بقية شعوب جنوب بلاد الرافدين، فقد فرضت عليهم البيئة المحيطة أسلوبًا خاصًا في المعيشة. كانت الأنهار والأهوار مصدرًا للماء والغذاء، كما وفرت القصب والطين اللذين استُخدما في بناء البيوت وصناعة الأدوات.**

**بنى معظم الكلدانيين بيوتهم من اللِّبن المجفف بالشمس، وهو مادة وفيرة في بلاد الرافدين. أما في المناطق القريبة من الأهوار، فشُيدت بعض المساكن من القصب ونبات البردي الذي ينمو في المناطق المائية، وهي مواد خفيفة تناسب البيئة الرطبة. وكانت البيوت غالبًا تضم فناءً داخليًا يحيط به عدد من الغرف، مما يساعد على تلطيف الحرارة في الصيف.**

**صُنعت الملابس في الغالب من الصوف، ثم انتشر استخدام الكتان بين القادرين على شرائه. وكان الرجال يرتدون أثوابًا طويلة أو قصيرة بحسب طبيعة عملهم، بينما ارتدت النساء أثوابًا طويلة وزينَّ أنفسهن بالأساور والقلائد والخواتم والأقراط المصنوعة من الذهب أو الفضة أو البرونز، إضافة إلى الأحجار الكريمة الألماس والياقوت والزمرد والياقوت الأزرق**

وشبه الكريمة و هي ليست نادرة أو مرتفعة الثمن مثل العقيق والفيروز واللازورد والعقيق اليماني والجمشت.

اعتمد الكلدانيون على ما تنتجه أرضهم وأنهارهم. فكان الخبز غذاءهم الأساسي، إلى جانب التمر الذي عُدَّ من أهم محاصيل جنوب بلاد الرافدين. كما تناولوا الأسماك بكثرة، وربوا الأغنام والماعز والأبقار للاستفادة من لحومها وألبانها، وزرعوا الشعير والقمح وأنواعًا مختلفة من الخضروات.

وكانوا يشربون الماء والحليب، كما عرفوا المشروبات المصنوعة من الشعير، والتي كانت شائعة في بلاد الرافدين منذ عصور أقدم.

عمل معظم الكلدانيين في الزراعة، مستفيدين من خصوبة الأرض وشبكات الري. كما امتهن آخرون صيد الأسماك، وتربية الماشية، وصناعة الفخار، ونسج الأقمشة، وصناعة القوارب التي كانت وسيلة النقل الأساسية في المناطق المائية. وازدهرت التجارة أيضًا بفضل موقعهم القريب من الخليج العربي، مما أتاح لهم تبادل السلع مع مناطق بعيدة.

معلومة طريفة

كان التمر من أهم ثروات جنوب بلاد الرافدين، ولم يقتصر استخدامه على الطعام، بل استُخدم أيضًا في صناعة بعض المشروبات، وكان نوى التمر يُستفاد منه علفًا للحيوانات، لذلك لُقبت شجرة النخيل أحيانًا بـ "شجرة الحياة" لكثرة ما قدمته للإنسان.

## الديانة والمعتقدات عند الكلدانيين

لم يأتِ الكلدانيون بديانة جديدة تختلف عن سكان بلاد الرافدين، بل تبنّوا المعتقدات الدينية السائدة في بابل، وأصبحت معابدها وآلهتها جزءًا من حياتهم الدينية. وكانوا يؤمنون بأن الآلهة تتحكم في قوى الطبيعة، وفي

مصير الإنسان، ولذلك حرصوا على تقديم القرابين وإقامة الطقوس طلبًا للحماية والبركة.

وكان المعبد مركزًا دينيًا واجتماعيًا مهمًا، فلم يقتصر دوره على العبادة، بل كان مكانًا تُحفظ فيه السجلات، وتُدار بعض شؤون المجتمع، ويعمل فيه الكهنة الذين كانوا يحظون باحترام كبير بين الناس.

ومن أكثر ما اشتهر به الكلدانيون اهتمامهم بحركة النجوم والكواكب. فقد اعتقدوا أن السماء تحمل إشارات يمكن أن تساعد في فهم الأحداث المقبلة، لذلك كانوا يراقبون السماء باستمرار، ويدونون ما يشاهدونه على ألواح طينية. ولم يكن الهدف من ذلك دينيًا فقط، بل ساعدت هذه الملاحظات أيضًا على تنظيم التقويم، ومعرفة الفصول، وتحديد مواعيد الزراعة والاحتفالات.

ولهذا السبب، أصبح اسم «الكلداني» في بعض الحضارات القديمة مرادفًا للعالم الذي يراقب النجوم ويفسر الظواهر السماوية، وهو ما منحهم شهرة واسعة خارج بلاد الرافدين.

من المهم أن نميز بين علم الفلك والتنجيم عند الكلدانيين. فقد كانوا يراقبون السماء بدقة ويسجلون حركة الأجرام السماوية، وهو ما يُعد أساسًا لعلم الفلك. وفي الوقت نفسه، كانوا يعتقدون أن بعض هذه الظواهر تحمل رسائل أو نذرًا، وهو ما يُعرف بالتنجيم. ولذلك اجتمع عندهم الرصد العلمي والمعتقد الديني في آنٍ واحد.

هل تعلم؟

عثر علماء الآثار على ألواح طينية كلدانية وبابلية تسجل مواقع الكواكب، ومواعيد خسوف القمر وكسوف الشمس، وقد ساعدت هذه السجلات

**الباحثين اليوم على فهم تطور علم الفلك في العالم القديم، وتُعد من أدق السجلات الفلكية التي وصلت إلينا من تلك الحقبة.**

**كما قسموا السماء إلى مجموعات نجمية، وميزوا الكواكب التي تتحرك بين النجوم، وأطلقوا أسماءً على عدد من الظواهر السماوية التي كانوا يتابعونها باستمرار.**

## التقويم وحساب الزمن

**اعتمد الكلدانيون على دورة القمر في تنظيم أشهر السنة، مع مراعاة حركة الشمس لضبط الفصول. ولذلك وضعوا تقويمًا ساعدهم على تحديد مواعيد الزراعة والحصاد والاحتفالات الدينية.**

**وكانوا يدركون أن السنة القمرية أقصر من السنة الشمسية، لذلك أضافوا شهرًا في بعض السنوات للحفاظ على توافق التقويم مع الفصول، وهي فكرة تُعرف اليوم باسم الشهر الكبيس.**

**اعتمد الكلدانيون على النظام الستيني الذي ورثوه عن البابليين، وهو نظام يقوم على العدد (٦٠). وقد استُخدم في الحساب، وقياس الزمن، والزوايا، وما زال أثره ظاهرًا حتى اليوم؛ فالساعة تتكون من ٦٠ دقيقة، والدقيقة من ٦٠ ثانية، والدائرة من ٣٦٠ درجة.**

**حرص الكتبة والعلماء على تسجيل ملاحظاتهم على ألواح من الطين باستخدام الكتابة المسمارية، فحُفظت بذلك معلومات قيمة عن السماء، والطقس، والرياضيات، والأحداث اليومية. ولولا هذه الألواح، لما عرفنا كثيرًا من تفاصيل الحياة العلمية في ذلك العصر.**

**هل تعلم؟**

يُعتقد أن بعض الفلكيين الإغريق، مثل علماء مدرسة الإسكندرية، استفادوا من السجلات الفلكية البابلية والكلدانية، وهو ما ساعد على تطور علم الفلك في العصور اللاحقة.

لم يبتكر الكلدانيون نظامًا جديدًا للكتابة، بل استخدموا الكتابة المسمارية التي كانت منتشرة في بلاد الرافدين منذ آلاف السنين. وكانت هذه الكتابة تُنقش بقلم من القصب على ألواح طينية رطبة، ثم تُجفف تحت أشعة الشمس أو تُحرق بالنار إذا أريد حفظها لفترات طويلة.

أما اللغة التي استُخدمت في الحياة اليومية والإدارة، فكانت اللغة الأكدية بلهجتها البابلية، إذ كانت اللغة الرسمية في بابل خلال العصر الكلداني. وقد كُتبت بها المراسلات الملكية، والعقود، والسجلات الإدارية، والنصوص الدينية والعلمية.

وفي الوقت نفسه، كانت اللغة الآرامية تنتشر بين عامة الناس والتجار، بسبب سهولة كتابتها واتساع استخدامها في أنحاء الشرق الأدنى. ومع مرور الزمن، أصبحت الآرامية لغة التواصل اليومي في مناطق واسعة، بينما بقيت الأكدية مستخدمة في الوثائق الرسمية والمعابد وكتابات العلماء.

وكان الكتبة يحظون بمكانة مرموقة في المجتمع، لأنهم كانوا من القلة الذين يتقنون القراءة والكتابة. ولم يكن تعلم الكتابة أمرًا سهلًا، إذ احتاج الطالب إلى سنوات من التدريب لحفظ مئات العلامات المسمارية وإتقان استخدامها.

ولعبت الكتابة دورًا مهمًا في حفظ تاريخ الدولة، وتسجيل القوانين، والعقود التجارية، والرسائل، والملاحظات الفلكية، مما ساعد على انتقال المعرفة من جيل إلى آخر.

**هل تعلم؟**

**عُثر على آلاف الألواح الطينية من العصر الكلداني، ولم تكن جميعها تتحدث عن الملوك أو الحروب، بل تضمنت عقود بيع وشراء، وسجلات للضرائب، ورسائل شخصية، وحتى قوائم بالمواد الغذائية وأجور العمال، وهو ما منح الباحثين صورة واضحة عن الحياة اليومية في ذلك العصر.**

## إرث الكلدانيين

**رغم أن الدولة الكلدانية لم تعش سوى أقل من قرن، فإن تأثيرها تجاوز حدود الزمن. فقد حافظ الكلدانيون على التراث البابلي، وطوروا علوم الفلك، وأسهموا في نقل معارف بلاد الرافدين إلى الحضارات اللاحقة.**
**ولهذا بقي اسمهم حاضرًا في المصادر القديمة، حتى أصبح لفظ «الكلداني» عند بعض الشعوب مرادفًا للعالم الذي يدرس النجوم وحركة الكواكب.**

**وبانتهاء الدولة الكلدانية، أُسدلت الستارة على عصر حضارات بلاد الرافدين القديمة، لتبدأ المنطقة مرحلة جديدة تحت حكم الإمبراطوريات الكبرى. لكن أسماء سومر، وأكد، وبابل، وآشور، والكلدانيين، ستظل محفورة في ذاكرة التاريخ، لأنها كانت منارات أضاءت الطريق أمام تطور الحضارة الإنسانية.**

**لن أطيل الشرح عزيزي القارئ لأننا ذكرنا معظم التفاصيل في الجزء الثالث الذي تناول الحضارة البابلية**

# من الطين إلى الإمبراطوريات

## كيف صنعت بلاد الرافدين أولى قصص الإنسان؟

**عندما حمل الإنسان قطعة الطين الأولى وترك عليها علامات بسيطة، لم يكن يعلم أنه يفتح بابًا سيغير تاريخ البشرية.**

**فمن بين نهري دجلة والفرات بدأت قصة لم تكن مجرد قصة ملوك وحروب، بل قصة إنسان حاول أن يفهم العالم من حوله، فكتب، وبنى، وحلم، وترك أثره للأجيال القادمة.**

**بدأت الرحلة مع السومريين، الذين حوّلوا الطين إلى كلمات، واخترعوا الكتابة المسمارية، وبنوا أولى المدن والمعابد، وتركوا لنا حكايات جلجامش وأسرار أقدم الأساطير.**

**ثم ظهرت الإمبراطورية الأكدية، التي أثبتت أن المدن المتفرقة يمكن أن تجتمع تحت راية واحدة، مع الملك سرجون الأكدي، الذي صنع أول إمبراطورية معروفة في التاريخ.**

**وبعدها جاءت بابل، المدينة التي أصبحت رمزًا للعلم والقانون، حيث ترك حمورابي واحدًا من أشهر القوانين في العالم القديم، وحيث وصلت الرياضيات والفلك والآداب إلى مراحل متقدمة.**

**ثم ارتفعت رايات آشور، الإمبراطورية التي جمعت بين القوة العسكرية والتنظيم الإداري والمعرفة، والتي حفظت في مكتبة آشور بانيبال كنوزًا من تراث الإنسان القديم.**

**و بعد سقوطها عادت بابل إلى الواجهة على يد الكلدانيين لتشهد المنطقة عهداً جديداً من الازدهار قبل أن تطوى صفحة حضارات بلاد الرافدين القديمة**

**لكن خلف أسماء الملوك العظماء، كانت هناك حياة أخرى؛ حياة الفلاح الذي زرع الأرض، والكاتب الذي نقش الألواح، والحرفي الذي صنع الأدوات، والمرأة التي أدارت بيتها وتجارتها، والطفل الذي تعلم في المدارس القديمة.**

**هذه هي الحكاية الحقيقية لبلاد الرافدين؛ لم تكن مجرد أرض قامت فيها إمبراطوريات ثم سقطت، بل كانت ورشةً كبرى للإنسانية، خرجت منها أفكار غيّرت العالم: الكتابة... القانون... المدن... الإدارة... الأدب... والعلم.**

**ومن هنا نفهم أن الحضارات لا تُقاس فقط بحجم أراضيها أو عدد جيوشها، بل بما تمنحه للبشرية بعد آلاف السنين.**

**فقد بدأ كل شيء من قطعة طين صغيرة لكن من ذلك الطين خرجت حكاية الإنسان.**

**عندما نتأمل تاريخ الإنسانية، نجد أن هناك أماكن كانت شاهدة على أحداث عظيمة، وأماكن أخرى كانت سببًا في تغيير حياة البشر إلى الأبد.**

**ومن بين هذه الأماكن، تبرز بلاد الرافدين بوصفها واحدة من أهم الحضارات في العالم، فهي الأرض التي شهدت نشوء أولى المدن، وظهور الكتابة، وتطور القوانين، وقيام إمبراطوريات تركت أثرًا عميقًا في تاريخ الإنسان. ولم يكن ما قدمته حضارات بلاد الرافدين إنجازًا لشعب واحد أو عصر واحد، بل كان ثمرة جهود حضارات متعاقبة، بدأها السومريون،**

**وطورها الأكديون، وعززها البابليون، ووسعها الآشوريون، ثم حافظ عليها الكلدانيون حتى نهاية العصر القديم.**

**وعندما نغلق صفحات حضارات بلاد الرافدين، فإننا لا نغلق قصة انتهت، بل ننهي الفصل الأول من رحلة الإنسان نحو بناء الحضارة، ويكون نهاية سلسلة من الطين إلى المجد استعدادًا للانتقال إلى فصل جديد حيث تنتظرنا حضارات أخرى عظيمة و سلسلة جديدة**

## إلى القارئ الكريم

**إن لاحظت تكرار بعض الأسماء أو الأحداث بين أجزاء هذه السلسة فأعلم أن ذلك لم يكن سهواً بل جاء ليحافظ على ترابط التسلسل التاريخي وليمنح كل كتاب اكتماله و استقلاله حتى يتمكن من يقرأ أي جزء من فهم أحداثه دون أن يشعر بوجود حلقات مفقودة**

**لم أهدف في هذه السلسلة إلى جمع جميع تفاصيل تاريخ حضارات بلاد الرافدين فذلك يحتاج إلى مؤلفات و مجلدات عديدة و إنما حرصت على اختيار أهم المعلومات و الأحداث و الشخصيات التي تساعد القارئ على تكوين صورة واضحة و شاملة عن كل حضارة مع الحفاظ على أسلوب سلس و ممتع بعيداً عن الإطالة**

## المراجع

**"اعتمدنا في إعداد هذا الفصل على مجموعة من المصادر التاريخية والأثرية المتخصصة، مع المقارنة بين النقوش القديمة والدراسات الحديثة، خاصة عند الحديث عن الشخصيات التي امتزج تاريخها بالأسطورة مثل سميراميس."**

**جورج رو ( Georges Roux– العراق القديم (Ancient Iraq).**

**من أهم الكتب التي تتناول تاريخ بلاد الرافدين من السومريين حتى سقوط الإمبراطوريات.**

**مارك فان دي ميروب ( Marc Van De Mieroop– تاريخ الشرق الأدنى القديم: نحو ٣٠٠٠–٣٢٣ ق.م ( A History of the Ancient Near East ca. ٣٠٠٠–٣٢٣ BC).**

**مرجع أكاديمي مهم لفهم تطور الدول الرافدية.**

**سيمون أنغليم (Simon Anglim) وآخرون – القوة العسكرية في العالم القديم ( Fighting Techniques of the Ancient World).**

**مفيد لفهم الجيش الآشوري وأساليب القتال.**

**إيكارت فرومر ( Eckart Frahm– تاريخ آشور ( A History of Assyria).**

**من المراجع الحديثة المهمة حول الملوك الآشوريين وتطور الإمبراطورية.**

**س. دبليو. و. فينكِل ( C. W. W. Finkel– دراسات عن الإمبراطورية الآشورية ومكتبة آشور بانيبال.**

**إيرفينغ فينكل ( The Ark Before Noah –Irving Finkel)**

**حول النصوص المسمارية والأساطير القديمة، ومنها قصص الطوفان التي حفظتها مكتبة آشور بانيبال.**

**جوان أوتس ( Babylon –Joan Oates) وكتبها عن بلاد الرافدين القديمة.**

**مفيدة لفهم العلاقة بين آشور وبابل.**

**ستيفن دبليو هالو ( William W. Hallo)– دراسات عن نصوص بلاد الرافدين والكتابة المسمارية.**

**المتحف البريطاني – قسم آثار بلاد الرافدين**

**لدراسة القطع الآشورية مثل اللاماسو، النقوش الملكية، وألواح مكتبة آشور بانيبال.**

**متحف اللوفر – مجموعة آثار الشرق الأدنى القديم**

**مرجع للمنحوتات والنقوش الآشورية.**

**موسوعة بريتانيكا ( Encyclopaedia Britannica)– مقالات عن آشور، نينوى، آشور بانيبال، وسميراميس.**

# الكاتبة أماني سليمان

**سوريا محافظة الحسكة**

**مدينة القامشلي**

**مواليد ٢/٨/١٩٨٨**

**درست في كلية العلوم قسم الكيمياء**

**أول مؤلفاتها كتاب خواطر بعنوان همسات النسمات**

**الثاني كتاب خواطر بعنوان صدى الأفكار**

**الثالث رواية بعنوان يضمدها الأمل**

**الرابع كتاب خواطر بعنوان عندما تتحدث الروح**

**الخامس رواية بعنوان أرواح تتأرجح على كفوف السحر**

**السادس كتاب خواطر بعنوان يا حزني السعيد**

**السابع رواية بعنوان قبل أن يراها**

**الثامن قصة بعنوان وكانت الصدمة**

**التاسع رواية بعنوان ترتيب القدر**

**العاشر مسرحية بعنوان النبوءة**

**الحادي عشر كتاب خواطر بعنوان كِلانا يبحث عني**

**الثاني عشر رواية بعنوان حين تكلم الموت**

**الثالث عشر رواية بعنوان نالت مرادها**

**الرابع عشر رواية بعنوان سلام فوق رماد الماضي**

**الخامس عشر خواطر بعنوان انا امرأة لا يعبرها الزمن**

**السادس عشر خواطر بعنوان على مائدة الوجدان**

**السابع عشر سكتشات مسرحية بعنوان من رحم المعاناة**

**الثامن عشر مونولوجات مسرحية بعنوان القوة تنبع من الداخل**

**التاسع عشر مونولوجات مسرحية بعنوان أنا والحياة**

**العشرون مونولوجات مسرحية بعنوان علمتني الحياة**

**الحادي والعشرون رواية بعنوان لم نخرج سالمين**

**الثاني والعشرون مسرحية بعنوان مقهى النصائح المجّانية**

**الثالث والعشرون مسرحية غنائية بعنوان ساحة المطر**

**الرابع والعشرون مسرحية بعنوان مكتب تصليح القدر**

**الخامس و العشرون مسرحية بعنوان مقهى الرسائل غير المرسلة**

**السادس و العشرون مسرحية بعنوان شركة ضائعة بين القرارات**

**السابع و العشرون مسرحية غنائية بعنوان قناديل المنى**

**الثامن و العشرون خمس سكتشات مسرحية بعنوان مجرات مضيئة**

**التاسع و العشرون مسرحية بعنوان صندوق الاصوات القديمة**

**الثلاثون كتاب خواطر بعنوان مسافة نجاة**

**الحادي و الثلاثون كتاب خواطر بعنوان ألوان قلبي**

**الثاني و الثلاثون رواية بعنوان على هامش القرار**

**الثالث و الثلاثون مسرحية بعنوان يوميات عريس مفلس**

**الرابع و الثلاثون مسرحية بعنوان عريس بالغلط**

**الخامس و الثلاثون مسرحية مزاد العرسان**

**السادس و الثلاثون مسرحية يوم بدون تمثيل**

**السابع و الثلاثون مسرحية غلط بغلط**

**الثامن و الثلاثون قصة بعنوان أجساد من كلمات**

**التاسع والثلاثون مسرحية حلم ع السريع**

**الاربعون مسرحية غنائية للأطفال المدينة التي تضحك**

**الواحد و الاربعون مسرحية غنائية بعنوان مدينة تزهر حين نحب**

**الثاني و الاربعون مسرحية بعنوان كل الطرق تؤدي إلي**

**الثالث و الاربعون مسرحية بعنوان آخر بث**

**الرابع و الاربعون مسرحية بعنوان محكمة الضمير**

**الخامس و الاربعون مسرحية بعنوان العريس الضايع**

**السادس والاربعون مونولوجات مسرحية بعنوان بدون تجميل**

**السابع و الاربعون مونولوجات مسرحية بعنوان بقايا انسان**

**الثامن و الاربعون مسرحية بعنوان مدينة الكذب**

**التاسع و الاربعون مسرحية بعنوان معجب سبع نجوم**

**الخمسون مسرحية بعنوان الجلسة الأخيرة**

**الواحد و الخمسون كتاب خواطر بعنوان قيد من حرير**

**الثاني والخمسون كتاب بعنوان من المجد إلى الطين(١)الحضارة السومرية**

**الثالث و الخمسون كتاب بعنوان من الطين إلى المجد(٢)الحضارة الأكدية**

**الرابع و الخمسون كتاب بعنوان من الطين إلى المجد(٣)الحضارة البابلية**

**الخامس والخمسون كتاب بعنوان من الطين إلى المجد(٤)الحضارة الآشورية**